التعليم عن بعد

محتوى

تاريخ الخليج العربي الحديث و المعاصر

لـ د. محمد احمد جودة

عمل : IbtiHAlinO

للحصول على الملزمة من الإنترنت : ibtihalino.blogspot.com

أهداف المقرر و محتواه :

• يهدف المقرر إلى التعريف بأهمية منطقة الخليج العربي كطريق مائي بين الشرق و الغرب إضافة إلى الموقع الاستراتيجي بالغ الأهمية في منطقة الشرق الأوسط و دور كل هذه المقومات في جذب التنافس الاستعماري لمنطقة الخليج العربي.
• ثم نبرز من جهة أخرى دور القوى المحلية مثل أل سعود و القواسم وغيرهم في مواجهة القوى الاستعمارية.
• إعطاء فكرة معبرة عن شخصية دول الخليج و إماراته و مشيخاته أمثال المملكة العربية السعودية و الكويت و البحرين و قطر و الإمارات و سلطنة عمان.

ثم نستعرض الحياة الاقتصادية منذ عصر استخراج اللؤلؤ ثم عصر اكتشاف البترول و أثره على الحياة الاقتصادية و الاجتماعية.
و نستعرض بعد ذلك بعض المشكلات التي تعرضت لها منطقة الخليج مثل الأطماع العرقية و الادعاءات الإيرانية في بعض مناطق الخليج العربي .
ثم نستعرض بعد ذلك التطور السياسي لمنطقة الخليج و نشأة مجلس التعاون الخليجي و أثره الكبير و الهام على منطقة الخليج من ناحية تأمين المنطقة و دفعها في اتجاه التعاون الاقتصادي في كافة المجالات.

المراجع و المصادر التعليمية

- محمد حسن العيد روس ، تاريخ الخليج العربي الحديث و المعاصر ، القاهرة ١٩٩٨ .
- عبد العزيز عوض ، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث ، بيروت ١٩٩١.
- جمال زكريا قاسم ، تاريخ الخليج العربي الحديث و المعاصر ، ٢٠٠١
- صلاح العقاد : التيارات السياسية في الخليج العربي (القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٤م) .
- مصطفى عقيل الخطيب : التنافس الدولي في الخليج العربي ١٦٢٢-١٧٦٣م (بيروت المكتبة المصرية ، ١٩٨١م) .

أهمية منطقة الخليج العربي

تنسب منطقة الخليج العربي إلى الممر المائي الذي تطل عليه دول تلك المنطقة خاصة من جهة الساحل الشرقي له و الحقيقة أن نسب هذا الممر المائي إلى العرب أو تسميته بالخليج العربي لم يكن من قبل العرب أنفسهم و إنما عرفت هذه التسمية منذ أقدم العصور.

فأقدم اسم معروف لهذا الخليج هو اسم " بحر أرض الإله " حتى الألف الثالث قبل الميلاد ثم أصبح اسمه " بحر الشروق الكبير" حتى الألف الثاني قبل الميلاد و سمي " بحر بلاد الكلدان " في الألف الأول قبل الميلاد. ثم أصبح اسمه " بحر الجنوب " خلال النصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد.

سماه الآشوريون و البابليون و الأكاديون : " البحر الجنوبي " أو " البحر السفلي" وقد سماه الفرس " بحر فارس " و قيل أن هذه التسمية عرفت في أول الأمر من قبل الملك الفارسي دارا الأول (٥٢١-٤٨٦ ق.م) في كلامه " على البحر الذي يربط بين مصر و فارس .

أما أول من أطلق عليه الخليج العربي هو المؤرخ الروماني بلينيوس في القرن الأول الميلادي ، تلك الفترة التي كانت تلك المنطقة بالكامل بما فيها سواحل هذا الخليج الشرقية و الغربية ، عربية أو فارسية تحت سيطرة الإمبراطورية الرومانية.

ولا شك أن هذه التسمية التي أطلقها الرومان على الخليج في ذلك الوقت إنما ترجع إلى سيطرة العرب على المراكز التجارية و الملاحية على امتداد هذا الممر المائي لفترات كبيرة في التاريخ في ذلك الوقت وما يؤكد ذلك السواحل الشرقية لهذا الخليج و التي تمتد لمسافة حوالي مأتى كيلو متر تشغل معظمها سلسلة من الجبال صعبة المنافذ إلى الداخل مما عزل سكان فارس و السلطة المركزية عن حياة البحر و ممارسة الأنشطة البحرية بشكل كبير ، إضافة إلى ما اشتهر به الفرس منذ أقدم العصور بخوفهم من البحر و قلة أنشطتهم فيه سواء المدنية أو العسكرية.

و بسبب عدم خبرة الفرس بالأنشطة البحرية التي كانت دائما نقطة ضعفهم هي الأسطول الأمر الذي بسببه تلقوا هزائم عديدة في ميدان المعارك البحرية على يد عناصر أو أمم أقل منهم بكثير في القوى ، مثلما حدث أمام بلاد اليونان في العصر الكلاسيكي أثناء ما يعرف بالحروب الميدية .

وقد دفع ذلك الكثير من المؤرخين حتى في الغرب إلى القول بأن الخليج ليس فيه شيء فارسي سوا أسمه فقط و أن اسم الخليج العربي يمثل حقيقة جغرافية ثابتة.

منطقة الخليج العربي :

تشكل منطقة الخليج العربي ، وما فيها من المدن القديمة و الحديثة أهمية كبرى حضاريا و اقتصاديا إلي جانب ما لهذه المنطقة من تأثير قوى علي الأوضاع السياسية و الاقتصادية في العصر الحديث ليس فقط في الشرق الأوسط و إنما في العالم .

فقد كان لهذه المنطقة تواجدها القديم الضارب في أعماق التاريخ و كانت علي مر العصور مصدرا للخيرات التي أغرت بعض القبائل للنزوح إليها و استيطانها ، كما وفدت إليها أسر قدمت من بلاد عربية كثيرة.

وقد سكنت هذه القبائل منطقة الخليج و وجدت في رحابها رخاء العيش و أمن الحياة و امتدت فروعها إلي الوقت الراهن و طوال تاريخها ظلت منارة للعلم و مصدرا للخير و ملاذا لمن جار عليهم الزمن.

وقد كان الخليج كمعبر مائي يشكل دائما فاصلا بين سكان الساحل الشرقي و الأخر الغربي في الثقافة و الدين و حتى في الظروف الطبيعية و الجغرافية ، رغم التشابه في الأنشطة التجارية و التقارب المكاني .

ولم يذكر التاريخ اسم شعب استوطن الخليج العربي و سيطر على موانئه و سواحله و فرض السيادة التامة على مياهه و استفاد منها مثلما فعل العرب ذلك. و كانت الصلات بين الجزيرة العربية و العراق و سواحل الخليج و أيضا السواحل الأفريقية و الصينية تمتد إلى قرون عديدة قبل بدأ التاريخ الميلادي بفضل نشاط العرب في تلك المنطقة و حسن استخدامها كمنطقة وسطى من خلال النشاط التجاري الذي ربط العالم القديم و أيضا الحديث من خلال ذلك المعبر المائي الهام.

و يمتد الخليج العربي على شكل ذراع بحري في اتجاه شمالي غربي إلى جنوبي شرقي ، بين مدينة الفاو على الطرف الجنوبي للعراق و رأس مسندم على مضيق هرمز الذي يتصل بخليج عمان ، فالبحر العربي و تبلغ مساحة الخليج سبعة و تسعين ألف و أربعمائة و خمسين ميلا مربعا و يحتل الخليج العربي موقعا فريدا حيث تشكل سواحله الغربية المنافذ الطبيعية للأقاليم الداخلية ، كما يتصل من الناحية الشمالية بنهري دجلة و الفرات عبر شط العرب و تتركز الأهمية الإستراتيجية للخليج نفسه في كونه جسرا أو معبر بين الغرب و الشرق و طريق مواصلات فريد بين أوروبا و الشرقين الأدنى و الأقصى.

و تتميز السواحل الغربية للخليج العربي بكونها مناطق سهلية باستثناء منطقة قاعدة شبه جزيرة قطر و أقصى جنوب مضيق هرمز و يتكون معظم الشاطئ العربي من شواطئ رملية مع العديد من الجزر الساحلية الصغيرة التي يضم بعضها البحيرات داخلية.

بينما يختلف الساحل الشرقي بتركيبته الجبلية مع وجود كثيف للمنحدرات ؛ وفي حالة وجود الشواطئ فهي ضيقة جدا لا تشكل إلا شقا ساحليا رفيعا في حالة تواجدها و تكبر قليلا لدى مصادفتها مصبات الأنهار الصغيرة على حدود الخليج العربي.

و السهل الساحلي يتوسع شمالا في منطقة بوشهر ضمن إيران ، ليتحد بعد ذلك مع سهول دلتا أنهار دجلة و الفرات الواسعة.

و تعد مياه الخليج العربي غير عميقة نسبيا ، إذ يبلغ أقصى عمق فيها ٣٦٠ قدماً. فمياهه لا يرتفع بها الموج و بالرغم من ارتفاع درجة حرارته و ارتفاع نسبة الرطوبة في مناخه ، فنادراً ما يتعرض لعواصف أو دوامات هوائية ، و لذلك فهو يوفر بيئة بحرية ملائمة للملاحة البحرية . كما أن مياه الخليج العربي ضحلة و نادراً ما تتجاوز عمق ٩٠م ، وقد تصل في مناطق قليلة جدا إلى أعماق تزيد على ١١٠ أمتار و ذلك في مدخله وفي الأماكن المعزولة في الجزء الجنوبي الشرقي.

و توضح خريطة القمر الصناعي الاختلاف بين الساحلين الشرقي و الغربي للخليج العربي من حيث طبيعة التضاريس

و يحوي الخليج العربي على أكثر من ١٣٠ جزيرة أكبرها جزيرة قشم الإيرانية التي يستوطنها عرب إيران ثم جزيرة بوبيان الكويتية و تبلغ مساحتها ٨٦٣ كم٢ ، ثم تأتي بعدها جزيرة البحرين و تبلغ ٦٢٠ كم٢.

الاختلاف الواضح بين تضاريس الساحل الغربي و الشرقي للخليج العربي :

وقد تميز الخليج العربي قبل اكتشاف البرتغاليين طريق رأس الرجاء الصالح في نهاية القرن الخامس عشر ، بموقعه الجغرافي المتميز و مركزه التجاري الذي يربط شرق العالم بغربه ، حيث ازدهرت الملاحة العربية بين موانئ الخليج العربي و موانئ المحيط الهندي مستفيدة من الرياح الموسمية الصيفية ، حاملة البضائع الهندية و الصينية وغيرها من سلع جزر الهند الشرقية و جنوب شرق آسيا نحو موانئ الخليج العربي و البحر الأحمر و الساحل الشرقي الأفريقي و مستفيدة من الرياح الموسمية الشتوية ، حاملة البضائع الفارسية و الأفريقية و غيرها نحو الموانئ الهندية.

و كانت البضائع الشرقية المنقولة بالسفن العربية عبر المحيط الهندي و الخليج العربي ترد إلى البصرة ثم تتجه برا قاصدة حلب مارة ببغداد و حمص و حماة حيث تنقلها السفن الايطالية إلى الموانئ الأوروبية . وقد وجدت هذه البضائع وهى في طريقها إلى موانئ البحر المتوسط سوقا رائجة في موانئ الخليج العربي.

و تفوقت التجارة المنقولة عبر الخليج العربي على مثيلتها في البحر الأحمر – ذي الشعاب المرجانية و السواحل المجدبة ، فبلغت ثلاثة أمثالها في معظم الأحيان على الرغم من قصر المسافة بين السويس و الإسكندرية بمقارنتها بين البصرة و حلب و على الرغم من شدة الحرارة خلال فصل الصيف و تعرض القوافل التجارية لغارات القبائل البدوية .

خريطة طبيعية لدول منطقة الخليج :

وقد عرفت الدول الأوروبية الخليج العربي للمرة الأولى من خلال المحاولات التي بذلها البرتغاليون في القرن السادس عشر للتخلص من احتكار العرب في منطقة الخليج العربي و الشرق الأوسط للوساطة في التجارة بين أسيا و أوروبا.

وقد كانت التجارة بين الشرق و الغرب منذ أقدم العصور تسلك طريقين رئيسيين هما : طريق البحر الأحمر و مصر و طريق الخليج العربي و الشام و كلاهما كانا تحت سيطرة العرب. و كانت المشكلات و الخلافات السياسية أحيانا تغلق إحداهما أو كليهما و حين كان الطريقان يغلقان في وقت واحد فان مدد البضائع الشرقية كان ينقطع عن أوروبا إلا بالقدر الذي كان يمكن فيه سلك طريق وعر و غير أمن عبر أسيا الوسطى.

و أهم و أكبر المراكز الأوروبية التي كان لها نصيب كبير من تجارة المشرق هي البندقية و جنوا ، وقد فقدت جنوا مكانتها في عالم التجارة الشرقية نتيجة سقوط القسطنطينية على أيدي الأتراك في ١٤٥٣ م ، ثم بعد فترة و جيزة أدى الخلاف بين المماليك في مصر و بين البندقية إلى فقدان البندقية ما كان قد تبقى لها من مزايا في المنطقة.

و كان واضحا أن اكتشاف طريق جديد غير معهود يصل إلى الهند سيعود بثروة كبيرة على الدول التي ستستطيع الاستفادة منه و كانت البلد الذي كرس نفسه للبحث عن مثل ذلك الطريق هي البرتغال.

ولا شك أن أهمية موقع الخليج العربي بلاضافة إلى ما أكسبه العرب من أهمية بحسن استغلالهم لموقعه طوال قرون عديدة قديما و حديثا ، كان سببا في جذب انتباه القوى الاستعمارية على مدار التاريخ قديما حديثا للاستفادة من هذا الموقع المتميز و السيطرة على هذا المعبر الهام من جهة ، ومن جهة أخرى إنهاء احتكار سيطرة العرب عليه.

و لذلك يتضح أن أهمية تلك المنطقة كانت موجودة بشكل كبير قبل اكتشاف البترول و أن اكتشافه أضفى عليها أهمية كبرى وزاد من اهتمام العالم كله بهذه المنطقة ، التي تضاعف تأثيرها في العالم بأثره بعد ظهور خام البترول و أصبحت تتصدر أولويات الدول الاستعمارية الكبرى.

التنافس الاستعماري في منطقة الخليج

(البرتغال)

تعرضت منطقة الخليج العربي منذ القرن السادس عشر الميلادي إلى غزو استعماري قامت به بعض الدول الأوروبية ، حيث كان العرب ، خاصة في منطقة الخليج ، يتحكمون في طرق التجارة الرئيسية و خاصة التجارة البحرية من الهند إلى أوروبا. وقد قامت كل من البرتغال و أسبانيا بأول المحاولات في ذلك الاتجاه عندما قامت كل منهما ببدايات حركة الاستكشافات الجغرافية طمعا – كما ذكرنا من قبل – في التخلص السيطرة العربية على طرق التجارة البحرية التي كانت خاضعة في ذلك الوقت لحكم المماليك .

والجدير بالذكر أن الفترة الأخيرة من القرون الوسطى قد شهدت تطورا هاما وهو أن جميع مراكز إنتاج التوابل و طرق تجارتها قد وقعت في أيدي المسلمين خلال النصف الثاني من القرن الخامس عشر ، حيث ارتبطت ارتباطا و ثيقا بمناطق الدول الإسلامية كالأفغانية و المغولية في الهند و الممالك الإسلامية في مالاقا والخليج العربي و دولة المماليك في مصر و الشام و الحجاز و الإمارات الإسلامية في شرق أفريقيا . وعلى ذلك فان أوروبا صارت بكاملها تتطلع لتحقيق وسيلة ما تخرج بها من طوق الهيمنة التجارية الإسلامية و خاصة بعد اكتساح العثمانيين للأناضول و احتلال القسطنطينية عاصمة أوروبا الشرقية عام ١٤٥٣م.

وقد نجحت المحاولات البرتغالية و الاسبانية في السيطرة على منافذ تجارة الشرق في الخليج العربي و البحر الأحمر و التحكم بمضيقي هرمز و باب المندب. وقد كان لتشتت القوى الإسلامية و العربية في الشرق ، إضافة إلى كثرة الصراعات و الحروب التي كانت عاملا مساعدا في تنفيذ خطة البرتغاليين و انتشارهم في المنطقة و بعد نجاح البرتغاليين في اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح و وصلهم إلى الهند في مطلع القرن السادس عشر الميلادي ، عملوا على التحكم بالطرق الملاحية عبر المحيط الهندي و الخليج العربي و البحر الأحمر و أصبح الخليج و جنوب الجزيرة العربية مجالين للتنافس الاستعماري.

الاستعمار البرتغالي :

فكانت البرتغال أول الدول الاستعمارية الغازية للمنطقة العربية بصفة عامة و منطقة الخليج بصفة خاصة ، فقد كون البرتغاليين إمبراطورية استعمارية قوية أثناء حركة الكشوف الجغرافية فنشروا تجارة الرقيق و جلبوا العبيد من أفريقيا خاصة غربها و باعوهم في أسواق أوروبا ثم عبروا رأس العواصف المسمى حاليا برأس الرجاء الصالح ١٤٩٢م و وصلوا إلي شرق أفريقيا ثم تابعوا إلي الهند فاحتكروا التجارة و سيطروا على الطرق الملاحية و انشئوا العديد من الشركات التجارية في الشرق ، يضاف إلي ذلك حملات التبشير و التنصير بالقوة التي مارسوها بدافع من الحقد على الإسلام و المسلمين.

وقد بدأ البرتغاليون بمهاجمة ميناء – غوا – على الساحل الهندي و استولوا عليه و بذلك وضعوا لهم أول موطأ قدم في الشرق لأن هذه المدينة الهندية - غوا - كانت أول مستعمرة أوروبية في الشرق كله ، وذلك بعد زوال كل المستعمرات الصليبية من قبل ، كما كانت هذه المدينة أيضا نقطة و ثوب برتغالية إلى الخليج العربي ، و ظلت كذلك حتى بعد أن فازت الهند باستقلالها في أعقاب الحرب العالمية الثانية.

ثم توالى استيلاء البرتغاليين على العديد من المدن الهامة في المنطقة ، فاستولوا على جزيرة - سقطرى – العربية ذات المركز الاستراتيجى الخطير بالنسبة إلى المحيط الهندي و كذلك منافذ البحر الأحمر و بحر العرب و كان البرتغالي -الفونس ألبوكرك - صاحب هذه الانتصارات.

و اتجه القائد البرتغالي – البوكرك - بعد ذلك نحو الخليج العربي قاصدا الاستيلاء على - رأس الحد – و لكن بسبب مقاومة الشيخ سيف الدين حاكم جزيرة هرمز اضطر البرتغاليين لعقد الصلح الذي بمقتضاه اعترفوا بحكم الشيخ سيف الدين على الجزيرة.

و عند هذه النقطة تتضح سياسة إيران التي كانت دوما ضد العرب و بالتالي وقفت في هذا الصراع إلى جانب البرتغاليين و تحالفت معهم ضد العرب وضد الشيخ سيف الدين و أجبرته على قبول الحماية البرتغالية.

ويشير الاتفاق الذي تم بين القائد البرتغالي – ألبوكرك و الشاه الإيراني - إسماعيل الأول – إلى طبيعة المصالح المشتركة بين إيران و البرتغال حيث جاء في هذا الاتفاق ما يلي :

-أن تقدم البرتغال بعض السفن للشاه لتمكينه من غزو البحرين و القطيف.

-أن تقدم البرتغال مساعدتها للشاه لقمع ثورة مكران في مقابل موافقة الشاه على احتلال البرتغال لميناء جوادر على ساحل بلوشستان.

-أن تتحالف البرتغال و فارس ضد الدولة العثمانية.

-يتنازل الشاه عن هرمز و يعترف بالحماية البرتغالية عليها.

-وعد البرتغاليون الشاه بفتح - جاوه - للتجارة الفارسية ، و رغم ذلك تشير المصادر إلى أن - ألبوكرك - أخبر سفير الشاه في عام ١٥١٥م بأن أي تاجر فارسي يضبط في أي مقاطعة أخرى في الهند باستثناء – جاوه - سيفقد بضائعه و يخضع لغرامات باهظة.

-ويشير هذا الاتفاق ليس فقط لتحالف إيران مع البرتغال ضد العرب و لكن أيضا لأطماع الإيرانيين الاستعمارية في منطقة الخليج العربي.

ثم استولى البرتغاليين بعد ذلك على مدينة صور ثم مسقط رغم المقاومة العنيفة التي وجدها البرتغاليون و التي بسببها دمروا و احرقوا كل ما واجههم في تلك المدن حتى المسجد الكبير في مسقط أحرقوه و أقاموا كنيسة مكانه و هناك الكثير من المصادر التي تتحدث عن الخراب و الدمار الذي أوجده البرتغاليون في تلك المنطقة.

وبعد الإرهاب و الترويع الذي مارسه البرتغاليون أصبحت المدن و الموانئ العربية في الخليج مثل – قلهات ، مسقط ، صحار ، صور ، بمثابة محطات برتغالية لحماية جزيرة هرمز و الدفاع عن تجارتها ، و بقى نظام الحكم المحلى في هرمز تحت الحماية البرتغالي ، و نتج عن ذلك أن الكثير من السكان غادروا هرمز إلى الموانئ الأخرى في الخليج العربي مما أثر على ازدهار هرمز و عمرانها. وقد شعرت هرمز بالضائقة الاقتصادية بسبب تحكم البرتغاليين بالطرق التجارية المؤدية إليها تنفيذا لخطتهم التي استهدفت إغلاق الخليج العربي و عزله عن التجارة الشرقية.

و بسبب احتلال البرتغاليين منطقة الخليج العربي انهار النشاط البحري لعرب الخليج وهو مصدر رزقهم الوحيد أثناء تلك الفترة و كانت القوى الإسلامية إبان تلك الفترة تتمثل في المماليك الذين حاولوا التصدي للخطر البرتغالي لكنهم انهزموا في معركة ديو البحرية عام ١٥٠٩ م و كانت قواهم قد ضعفت و انهارت أمام الدولة الفتية وهي الدولة العثمانية التي كانت مشغولة في صراعها مع الدولة الصفوية من جهة ومع دولة المماليك من جهة أخرى لذلك كانت السيادة العثمانية على منطقة الخليج العربي سيادة اسمية.

ونشير هنا إلى موقف المدن الهندية من هذا التغير الجذري في منطقة الخليج العربي و كسر الاحتكار العربي للتجارة ، فلم تتأثر المدن الهندية كثيرا بهذا التغيير لأن النشاط البرتغالي لم يؤثر على مصالحهم فبعد أن كانت مهنة النقل التجاري احتكارا خالصا للعرب في المحيط الهندي ، أصبحت الآن في يد البرتغاليين ولذا لم تجد المدن الهندية ضيرا في بيع بضائعهم للبرتغاليين بدلا من العرب. وكما يذكر البعض فقد جمع العداء المشترك للإسلام بين الحكام الهندوس و البرتغاليين.

معركة ديو البحرية :

شعر المسلمون بان حركة البرتغاليين تضر بمصلحة الدولة الإسلامية لان البرتغال بدئوا بإنشاء سلسلة من المراكز التجارية على الساحل الهندي بين سنتي ١٥٠٠- ١٥٠٥ م (بداية القرن السادس عشر م) كما تجاوزوا الحد الأحمر باستيلائهم على جزيرة هرمز على مدخل الخليج العربي عام ١٥٠٧م وغيرها من النقاط الإسلامية الإستراتيجية.

فأرسل السلطان قنصوه الغوري سلطان مصر حملة بحرية كبيرة ضد البرتغاليين تحت قيادة حسين الكردي نائب السلطان في جدة، في عام (١٥٠٥م) حتى وصل إلى جزيرة (ديو) ثم (شول).

و التقى السلطان المملوكي مع الأسطول البرتغالي بقيادة (لورنزو دي الميدا) وذلك في عام (١٥٠٨م) فكان النصر حليفه فى البداية ، ولكن عزز البرتغاليون قوتهم و احتلوا المزيد من المواقع الإسلامية على الساحل الهندي في أول عام
(١٥٠٩م) ومنها غوا و دايول كما احتل البرتغال مدينة ديو الهندية مما أثر سلبا على التجارة الإسلامية فعقدت المعاهدات بين الدولة العثمانية و مصر و سلاطين الإمارات الهندية الذين طلبوا مساعدة الدولة الإسلامية إضافة إلى مدينة البندقية و تم إرسال أسطول مشترك من هذه الدول بمساعدة تقنية بحرية من البندقية.

و انضمت القوى الجديدة إلى حسين الكردي ، ولكن باغت البرتغاليون الأسطول في الثالث من فبراير عام ١٥٠٩م و شنوا هجوما غير متوقع على الأسطول الإسلامي مما أدى إلى تدمير الأسطول فكانت معركة ديو البحرية معركة حاسمة و فاصلة حيث كانت إيذاناً بانتهاء سيطرة المسلمين على خطوط التجارة البحرية مع أسيا ولذا تعتبر واحدة من أهم المعارك البحرية في التاريخ و بهزيمة المسلمين فيها شرع البرتغاليون في احتلال الموانئ الإسلامية الرئيسية و احتكروا البحر لمدة ١٠٠ عام.

وقد شهدت الفترة ما بين عامي ١٥٠٧- ١٦٥٠ م صراعا بين القوى العربية في الخليج و بين البرتغاليين ، وقد استخدم البرتغاليون في تلك الفترة اعنف أساليب الإرهاب بكل وسائل القوة لإخضاع العرب لنفوذهم و خلال تلك الفترة حاول العثمانيين تضييق الخناق على البرتغاليين والوقوف أمام مشروعهم الاستعماري.

فقد أدرك السلطان العثماني سليمان القانوني فداحة الأضرار الناجمة عن إبعاد العرب عن أسواق التجارة في الشرق.

و الجهود التي بذلها العثمانيين في ذلك رغم قوتها واتساع نطاقها لم تؤدى إلى نتائج حاسمة ، ولكنها نجحت في منع الاستعمار البرتغالي من الامتداد إلى الداخل ، كما حطمت إمكانية قيام جبهة مسيحية برتغالية حبشية ضد القوى العربية الإسلامية في البحر الأحمر و شمال أفريقيا.

فأرسلوا حملة يقودها سليمان باشا الخادم الذي استولى على مسقط وحاصر شبه جزيرة مسندم و مضيق هرمز وحرض أهل القطيف على الثورة ضد البرتغاليين ، وقد تمكنت الدولة العثمانية من السيطرة على مسقط و جزيرة قشم و لكنها عجزت عن السيطرة على مضيق هرمز.

كما شهدت الفترة ما بين ١٥٥٢ – ١٥٥٤م العديد من المواجهات بين الأسطولين العثماني و البرتغالي عبر الخليج العربي و البحر الأحمر و انتهت بهزيمة العثمانيين ، الذين استطاعوا بعد ذلك تحقيق بعض الانتصارات على البرتغاليين فيما بين ١٥٥٧ – ١٥٨١م خاصة في البحرين و مسقط .

وقد استطاع العثمانيين أيضا بعد ذلك السيطرة على منطقة الإحساء ، كما فقد البرتغاليين البحرين مرة أخرى فى عام ١٥٣٤م عندما أرسل حكام البحرين و الإحساء و البصرة مبعوثين عنهم إلى بغداد للترحيب بالسلطان العثماني سليمان القانوني.

وعندما بدأ الزحف العثماني يؤتى ثماره على حساب الوجود البرتغالي رأت بريطانيا أن ازدياد التوسع العثماني في مياه الخليج يشكل خطر يهدد مركزها و نفوذها في المنطقة ، لذلك سارعت إلى عقد اتفاقيات حماية مع حكام و شيوخ منطقة الخليج العربي لإضعاف النفوذ العثماني في المنطقة.

وقد عملت القوتان الأوربيتان الانجليزية و الهولندية خلال الربع الأول من القرن السابع عشر على إقصاء النفوذ السياسي و التجاري البرتغالي من الخليج العربي.

على الرغم من اتخاذ البرتغاليين كل الإجراءات للدفاع عن أنفسهم بعد أن أحسوا بخطورة القوى المنافسة لهم عن طريق عدة إجراءات مثل إغراق الأسواق الفارسية بكميات كبيرة و متنوعة من البضائع للتأثير على التجارة الانجليزية ، و رغم ذلك حقق الانجليز أربحا ، ولم تأتى هذه الخطوة بأي نتيجة.

وفى الربع الأول من القرن السابع عشر تمكن الانكليز مع حلفائهم الإيرانيين من إخراج البرتغاليين من الخليج العربي نهائياً عام ١٦٢٢م ليفرضوا سيطرتهم عليه و لعدة قرون.

التنافس الاستعماري في الخليج (هولندا)

بدء التواجد و التفكير الهولندي في آسيا خصوصاً و الشرق عموماً في أواخر القرن السادس عشر ، فقبل أن تحصل هولندا على اعتراف اسبانيا باستقلالها ، أخذت تساهم في العمليات الكشفية حول العالم الجديد ، في نفس الوقت الذي أخذت تتمرد فيه على الأسعار الاحتكارية التي كان البرتغاليون يفرضونها على المستهلك الأوروبي ، خاصة بعد أن اتضح للهولنديين أن تحدى قوة البرتغال في البحار الشرقية أصبح أمرا ليس صعبا.

وقد عقد كبار التجار الهولنديين بأمستردام في سنة ١٥٩٢م اجتماعاً قرروا فيه إنشاء شركة للتجارة مع الهند. و منذ ذلك الحين أخذت هولندا تتطلع للوصول إلى الشرق . وفى سنة ١٥٩٥م خرج أول أسطول هولندي إلى أسيا ، و الذي بلغ جزر الهند الشرقية ثم عاد بعد غيبة دامت سنتان و نصف. و أن كان قد فقد عدداً من طاقمه إلا أن الفوائد المادية من وراء البضائع التي جلبت كانت خير تعويض لذلك.

ولم تكن هذه الرحلة بداية لرحلات عديدة فحسب ، بل أنها كانت محركاً لإنشاء شركة الهند الشرقية المتحدة و التي أسست بمرسوم صدر في ٢٠ مارس ١٦٠٢م من الحكومة الهولندية. والذي خولت بمقتضاه حق احتكار التجارة و اتخاذ الإجراءات الكفيلة بردع أي معاملة سيئة يتعرض لها الهولنديون و كذلك حق عقد معاهدات مع حكام الشرق باسم الحكومة الهولندية و بناء القلاع و تعيين الحكام و القضاة في المواقع التابعة و تطبيق القانون و توفير النظام في مثل تلك المناطق.

منذ تأسيس الشركة ، وهي تتطلع إلى تركيز عملياتها في الشرق و كانت المشكلة في كيفية الوصول لذلك الهدف ، خصوصاً أن آسيا في ذلك الوقت بها كيانات سياسية بالصين و الهند و اليابان - لا يستهان بها و يصعب على الشركة تحديها في ذلك الحين ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى كان البرتغاليون هناك ، وقد أقاموا أسس دفاعية على يد البوكيرك ، ما زالت سليمة ولم يمسسها سوء. ولهذا حرص الهولنديون على تجنب الاصطدام بالكيانات السياسية في المنطقة وكذلك القوى الأوربية الكائنة بها.

و سرعان ما اكتشف الهولنديون أن هناك ثغرة لدخول المنطقة ، تتمثل في أرخبيل الملايو و التي عن طريقها تم اختراق خطوط الدفاع الآسيوية.

وقد وجد الهولنديون في هذه المنطقة المقومات الأساسية التي تلزمهم بالسيطرة عليها ، فهي منطقة واسعة ، تضم عدداً كبيراً من الجزر الخصبة للغاية و التي تمتد بخط منحى يمتد من سومطرة إلى الفلبين و تعد أكثر المناطق الآسيوية جاذبية و أهمية في الشرق كله و التي تتجلى في إنتاجها للتوابل النفيسة إلى جانب المعادن و الصمغ الأعشاب الطبية.

و كان للهولنديين في ذلك الوقت اليد العليا في أوروبا في مجالات التجارة و الملاحة و المال ، وفى الشرق كان البرتغاليون قد خارت قواهم و إذا بشركة الهند الشرقية البريطانية التي تأسست في ١٦٠١ م قد بدأت نشاطها في منطقة شرق آسيا وعلى الرغم من كونها كانت المنافس الوحيد للشركة الهولندية إلا أن إمكانياتها الملاحية و المالية كانت محدودة ولا تمكنها من التصدي للشركة الهولندية ، حيث أن الأخيرة تمتعت برأس مال ثابت يفوق بكثير رأس مال نظيرتها الإنجليزية هذا إلى جانب امتلاكها لعدد كبير من السفن التي تميزت بإمكانياتها التصنيعية و التسليحية و التي جعلتها أكثر قدرة على المناورة من غيرها من السفن الأوربية المعاصرة لها.

ومما سهل على الشركة من مهمتها في المياه الشرقية ، أنها قامت على دمج عدة شركات تجارية هولندية ، كانت قد وصلت من قبل إلى الشرق ونجحت في إقامة علاقات طيبة مع بعض الحكام في أرخبيل الملايو و أسس أغلبها مقرات تجارية و قلاع في ترنيت و بانتام و جزر باندا و رثتها الشركة في هذه المناطق ، بمجرد إتمام عملية الدمج لكل هذا قررت الشركة الهولندية الاتجاه إلى أرخبيل الملايو ، حيث يمكنها من القيام بعمليات واسعة لتجارة التوابل و حيث الظروف المتوفرة للسيطرة على هذه المناطق و التي ستساعدها على احتكار تجارتها.

و حتى تنفرد الشركة بتجارة منطقة أرخبيل الملايو ، عملت على مناهضة الوجود البرتغالي و كذلك الإنجليزي و لذلك أصدرت أوامرها إلى موظفيها في الشرق بضرب المعاقل البرتغالية أينما وجدت و بناء القلاع أينما اقتضت الضرورة ذلك و التخلص من منافسة شركة الهند الشرقية الإنجليزية بكل الوسائل . وقد تحققت كثير من أهداف الشركة الهولندية في خلال فترة لم تتجاوز الخمس عشرة سنة ، حيث دمروا البرتغاليين و طردوهم من جزر كثيرة ، كذلك أبعدوا الإنجليز عن المنطقة بالكامل بعد أن عجزت شركة الهند الشرقية الإنجليزية عن منافسة الشركة الهولندية.

وقد أدت سياسية المناهضة الهولندية للوجود الأوربي بالأرخبيل و خصوصاً للبرتغاليين إلى أحداث تقارب بين الحكام المحليين و القادمون الجدد ، بشكل مكن الهولنديين من تسديد ضربات ساحقة للبرتغاليين.

وفى سنة ١٦٤١م تم للهولنديين انتزاع ملقا حصن البرتغال الحصين في الشرق و التي بضياعها من يد البرتغاليين تمزق النظام الدفاعي الذي وضع أسسه البوكيرك ، خاصة بعد أن أقصى الهولنديون الوجود البرتغالي في سريلانكا سنة ١٦٥٤، و احتلالهم لكوتشين - مؤسسة البرتغال الأولى - في سنة ١٦٦٠م.

و بعد ذلك أخذ الهولنديون يقومون من كولمبو بحملات منظمة على كل أثر للبرتغاليين في المياه الهندية ، ولذلك أخذت تتساقط محطاتهم التجارية الواحدة بعد الأخرى في يد الهولنديين ولم يكتفِ الهولنديون بذلك بل استولوا على سيلان و جزر الصوند و وضعوا أيديهم على تجارة البن و الشاي إضافة إلى الفلفل و بعد ذلك نفذوا إلى الخليج العربي و نافسوا البرتغاليين فيه و لم يبقى للبرتغاليين بعد ذلك سوا بعض الممتلكات مثل غوا في الهند و مكاو في الصين مما ساعد على انهيار الإمبراطورية البرتغالية التجارية بشكل سريع تحت أقدام التحديات الهولندية في الشرق.

و منذ النصف الثاني من القرن السابع عشر بدأ البرتغاليون يخسرون الأسواق في منطقة الخليج بسبب المنافسة الانجليزية و الهولندية. كما تمكن الانجليز و الهولنديون و الفرس أيضا في إلحاق الهزيمة بهم في المحيط الهندي و الخليج العربي.

و بالفعل بدأ البرتغاليون في فقدان مضيق هرمز الذي استعاده الشاه الايرانى عباس بمساعدة الانجليز وهكذا خسر البرتغاليون أفضل ممتلكاتهم في الشرق فكان إيذانا بنهاية التفوق البرتغالي في الخليج . ولذلك كان طرد البرتغاليون من مضيق هرمز احد المعالم البارزة في تاريخ المنطقة.

-ولكن رغم هذا التفوق السريع للهولنديين في المنطقة إلا انه لم يستمر طويلا لعدة أسباب أهمها :

-التنافس الانجليزي الهولندي : فأطماع الانجليز في السيطرة على التجارة في الشرق و الخليج العربي كان لا بد أن تقودهم إلى نزاع مع الهولنديين الذين حلوا محل البرتغاليين في جنوبي شرقي آسيا و قد ازدادت حدة التنافس بين الانجليز و الهولنديين بعد تأسيس شركة الهند الشرقية الانجليزية التي احتكرت التجارة من رأس الرجاء الصالح في أقصى جنوب أفريقيا إلى مضيق ماجلان في جنوب أمريكا الجنوبية.

وعلى الرغم من وضع الانجليز القوى في الخليج العربي في الربع الأخير من القرن السابع عشر فإنهم لم ينفردوا في السيطرة على منطقة الخليج العربي بل تقاسموا النفوذ البحري و التجاري مع الهولنديين و بعض الكيانات العربية مثل عرب عمان و أيضا مع البرتغاليين أنفسهم في بعض الأوقات.

- هناك عامل أخر هام سارع بنهاية النفوذ و السيطرة الهولندية وهو سياسة شركة الهند الشرقية الهولندية نفسها ، فبعد أن استقرت الأمور للشركة الهولندية في أرخبيل الملايو و أصبحت هولندا في بداية القرن السابع عشر أكبر قوة أوربية في البحار الشرقية ، راحت الشركة تعمل على احتكار تجارة التوابل و دفعها هذا الاحتكار إلى السيطرة على عمليات الإنتاج و تنظيمها بشكل جعلها تتحكم في السوق. فأخذت تتدخل في تحديد الكميات المنتجة من التوابل و تقوم بإتلاف ما زاد منها عن الحد المطلوب وقد امتدت عملية الإتلاف لتشمل أشجار التوابل نفسها.

هذه السياسة كان لها أكبر الأثر في وقف قوة الدفع الهولندية في البحار الشرقية في أواخر القرن السابع عشر و إذا كانت شركة الهند الشرقية الهولندية قد تمكنت من احتكار تجارة التوابل طيلة القرن السابع عشر ، إلا أنها لم تتمكن من الحفاظ على مستوى قوتها إلى ما بعد ذلك وذلك للتحديات العديدة التي أوصلت نشاطها التجاري إلى طريق شبه مسدود.

و نجمت أولى التحديات التي واجهت الشركة عن سياستها بالمنطقة حيث ترتب عليها ازدياد الضرائب – بالإضافة إلى الضرائب التي كانت تدفع من قبل للسلطات الحاكمة و تحولت إلى الهولنديين و إلزام الأهالي بتسليم المحصول إجبارياً للشركة و إتلاف ما يزيد منه عن حاجة الشركة و حرمان السكان المحليين من ممارسة التجارة و تحطيم سفنهم و تدميرها ، بلاضافة الى شيوع الفقر و البؤس وشلل الحياة الاقتصادية و التي أدت في النهاية إلى انتشار أعمال القرصنة بشكل خطير كان له تأثيره على تحركات الشركة و نشاطها بالمنطقة.

كما ازدادت نفقات الشركة عن ايرادتها ، وذلك نتيجة سوء نظام الحسابات و خيانة موظفي الشركة و افتقارهم إلى النزاهة ، بعد اتساع الإمبراطورية ، هذا إلى جانب ارتفاع الفوائد التي كانت تدفعها الشركة لحملة أسهمها و التي تراوحت بين ٢٠% و ٤٠% و التي كان لها دور في تعثر نشاط الشركة المالي ، خاصة بعد أن اتسعت الممتلكات و ازدادت النفقات العسكرية و السياسية.

- أيضا تركيز الشركة لكل نشاطاتها التجارية حول التوابل النفيسة و تمسكها بذلك. في الوقت الذي تغيرت فيه طبيعة الطلبات الأوربية على السلع الآسيوية ، و بذلك عجزت الشركة عن التكيف مع الوضع الجديد خاصة بعد أن ازداد الوجود الأوربي بالمياه الآسيوية و خاصة الوجود البريطاني الذي احتكر تجارة المنسوجات الآسيوية بالأسواق الأوربية.

وما تعرضت له هولندا من مصاعب سياسية و عسكرية كبرى كان له تأثير واضح على نشاط الشركة في البحار الشرقية ، فبسبب اشتراك هولندا في حرب الاستقلال الأمريكية عام ١٧٨٠م ضد بريطانيا و مساهمة شركة الهند الشرقية الهولندية بالشرق في الصراع ضد بريطانيا ، الأمر الذي أصبح علامة فارقة في تاريخ الشركة ، تكبدت الشركة بسبب ذلك خسائر فادحة أفقدتها سيلان و مواقع كثيرة بالشرق.

و بهذا قابلت الشركة مزيد من التحديات التي أثرت في كل الحالات على ميزانية الشركة التي سارت في طريق الإفلاس بسبب قلة الإيرادات في وقت كانت المصروفات تتضاعف ، وهذا أضطر الشركة إلى الاقتراض إلى حد أعجزها عن الاستمرار ، لذلك تقدمت الحكومة الهولندية باقتراح لإنقاذ الموقف ، بحيث تأخذ الحكومة الهولندية على عاتقها مسؤوليات الدفاع و السماح بالتجارة الخاصة و الحد من احتكار الشركة التجاري و أن تدفع الحكومة ديون الشركة التي بلغت حوالي ١٤٠ مليون جلدر.

وقد تمت هذه التسوية مقابل أن تتخلى الشركة عن جميع ممتلكاتها و توابعها في الأرخبيل للحكومة الهولندية و بقبول ذلك انتهى دور شركة الهند الشرقية الهولندية في ١٧٩٨م ، و ورثت الحكومة الهولندية ممتلكات الشركة.

وبعد وقوع هولندا عام ١٦٧٢م تحت حكم فرنسا ازداد موقفها تأزما وضعفا ألأمر الذي مكّن انجلترا من القضاء على قوتها التجارية ومن ثم وضع الانجليز يدهم على ممتلكات هولندا في الهند و استولوا على سيلان ثم على المواقع التجارية الهولندية في الخليج العربي .

بدأ اهتمام الفرنسيين بالتجارة مع الشرق منذ بداية القرن السادس عشر شأنها شأن القوى الأوروبية الكبرى في ذلك الوقت بعد حركة الكشوف الجغرافية. ولم يكن الوجود الفرنسي في بحار الشرق عامة و الخليج العربي بصفة خاصة ملحوظا إذا ما قورن بالدول الأوروبية المنافسة الأخرى مثل البرتغال و هولندا و انجلترا. وقد وصلت أول رحلة تجارية فرنسية إلى الهند في مطلع القرن السادس عشر ولكنها بالطبع واجهت بمعارضة قوية من البرتغاليين أصحاب الزعامة في المنطقة في ذلك الوقت.

و كانت فرنسا في محاولاتها الاتصال بمنطقة الخليج العربي حريصة على إبراز دورها في مجال حماية الكاثوليك في أسيا ، ففي عام ١٦٢٦م أرسلت فرنسا إلى إيران سفيرا و كلفته بالقيام بثلاث مهام :

-إقامة تحالف مع إيران
-حماية المسيحيين الكاثوليك الموجودين بها
-إقامة علاقات تجارية مع إيران لفتح المجال بعد ذلك لمنطقة الخليج.
غير أن هذه المحاولة قد فشلت بسبب عدم مقدرة السفير الفرنسى تجاوز القسطنطينية.

و ربما وجدت فرنسا أن الستار الديني قد يكون عاملا مساعدا لها للنفوذ من خلاله إلى منطقة الخليج العربي في الوقت الذي كان التنافس التجاري شديد بين قوى استعمارية أخرى سبقت فرنسا إلى المنطقة و بسطت نفوذها بالفعل.

بعد فشل تلك المحاولة بثلاث سنوات أرسلت فرنسا إلى موسكو في محاولة لفتح طريق تجارى بين فرنسا و إيران عبر بلاد البلطيق و روسيا و بحر قزوين ، ولكن لم تأتى هذه المحاولة بنتائج ملموسة.

ثم أرسلت فرنسا في عام ١٦٢٨م إلى إيران بعثة تبشيرية برئاسة أحد أباء الكنيسة حاملا رسائل من الملك لويس الثالث عشر إلى الشاه عباس الأول.

وقد حظيت هذه البعثة بحفاوة الشاه الايرانى عباس الأول ، الذي سمح للبعثة أن تنشأ مراكز تنصيرية في كل مكان بأصفهان و بغداد التي كانت تابعة للدولة الصفوية في ذلك الوقت ، وكان للفرنسيين بعد ذلك دورا هاما في مجال الإرساليات الدينية بفارس لوجود عدد كبير من الرهبان الفرنسيين هناك.
وهكذا نفذ الفرنسيون الى منطقة الخليج العربي من خلال ذلك النشاط الديني الملحوظ.

و لأن النشاط التجاري كان الهدف الأساسي للمحاولات الفرنسية للتواجد في الشرق و الخليج العربي فقد حاولت فرنسا منذ عهد الملك هنري الرابع ١٥٨٩- ١٦١٠ م أن يكون لها نصيب في التجارة الشرقية بعد أن أدركت أهمية مشاركتها في هذا المجال مع القوى الاستعمارية الأوروبية المنافسة.

فقام الملك الفرنسي هنري الرابع في ١٦٠١م (بعد عام من تأسيس الشركة الانجليزية) بمحاولة لتأسيس شركة فرنسية للتجارة مع الهند على غرار شركتي الهند الشرقية البرتغالية و الاسبانية ولكنه فشل.

و استمرت المحاولات الفرنسية في هذا المجال حتى نجحت في عام ١٦٦٤م (بعد حوالي أكثر من نصف قرن) في تأسيس شركة الهند الشرقية الفرنسية وذلك بمبادرة شخصية من وزير المالية الفرنسي كولبير بهدف تطوير مجالات التجارة الفرنسية مع بلاد الشرق.

و اصدر الشاه الإيراني عباس الثاني مرسوما بمنح الشركة الفرنسية امتياز بإعفائها من من الرسوم و الجمارك لمدة ثلاث سنوات ، بالإضافة إلى حقوق ممارسة الأنشطة التجارية الممنوحة للأجانب الآخرين.

وقد أتفق الطرفان الفرنسي و الإيراني على تبادل المصالح و الخدمات ، فتعهد الفرنسيين بإغداق العطايا و الهدايا على الشاه الذي بدوره وعد الفرنسيين بإبرام معاهدة رسمية للتجارة مع فرنسا في حال حدوث ذلك سواء من ملك فرنسا أو من الشركة نفسها.

وكان متوقعا أن يزيد النفوذ الفرنسي من خلال هذا الوفاق مع الشاه الإيراني ، ولكن حدث العكس وبدلا من أن تسعى فرنسا من خلال الملك و الشركة للسير في هذا الاتجاه المدعم لوجودها في الخليج العربي و توطيد علاقتها مع الشاه الإيراني ، حدث العكس.

فقد أهمل الملك الفرنسي و أيضا الشركة الفرنسية إرسال ما وعدوا به الشاه الإيراني من هدايا الأمر الذي أغضبه و هدد بوضع حد لنشاط الفرنسيين بالموانى الفارسية هذا بالإضافة إلى انشغال فرنسا بمشكلات القارة الأوروبية و خوضها عدة حروب خاصة في عهد لويس الرابع عشر ، فضلا عن انشغال الشركة الفرنسية بفتح أسواق تجارية لها في سيام و الصين.

و خلال القرن القرن السابع عشر لم تتح للشركة الفرنسية الفرصة الكاملة للمشاركة بشكل كبير في تجارة فارس و الخليج العربي بسبب المنافسة و المعارضة الشديدة من القوى الأوروبية الأخرى.

و انتهت المنافسة الفرنسية الهولندية في المنطقة لصالح الهولنديين ، الذين سبقوهم إلى المنطقة ولذا فلم يفسحوا لهم المجال و رغم وجود وكالة فرنسية في بندر عباس إلا أن نشاط الشركة الفرنسية في الميناء كان يغلب عليه الركود.

و جاءت فرصة أخرى لفرنسا لتحسين علاقتها بالفرس عام ١٦٩٩م عندما حاولت الحكومة الفارسية أن تحصل على مساعدة عسكرية من فرنسا لتحقيق مشروعها في الاستيلاء على مسقط لوضع حد لنشاط اليعاربة في عمان ، وكانت كل من هولندا و انجلترا قد رفضتا مساعدة الفرس في ذلك في الوقت الذي كانت فيه المساعدات البرتغالية غير فعالة لتحقيق هدف الفرس.

وقد تضمن العرض الفارسي لفرنسا الدخول في حلف عسكري مع فرنسا لاحتلال مسقط على أن تكون النفقات مناصفة بينهما ، هذا بالإضافة إلى الامتيازات التجارية لفرنسا.

وكان هذا العرض الفارسي بمثابة صفقة عظيمة تفوق كل التسهيلات و الامتيازات التي حصلت عليها هولندا و انجلترا. و رغم ذلك فالمذكرة و العرض الفارسي لم يجد صدى لدى فرنسا ولا نعرف هل بسبب عدم وصول هذا العرض أصلا إلى باريس أم وصوله متأخرا. و يؤكد الباحثين أن وثيقة هذا العرض الفارسي ليس لها أثر في المحفوظات و الوثائق الفرنسية حتى ألان.

و يجب أن نذكر هنا أن القوى الاستعمارية في منطقة الخليج خاصة هولندا و انجلترا كانتا تسعيان دائما لإعاقة أي تقارب أو علاقة بين فرنسا و إيران تقرب فرنسا من الخليج العربي.

و رغم نجاح فرنسا في إبرام عدة معاهدات مع الفرس إلا أن انجلترا و هولندا كانا دائما يمارسان كل ما أمكن من ضغوط لإفشالها.

و يرى الكثير من الباحثين أن أن نظرة الفرنسيين إلى فارس أو إيران إلى منطقة الخليج ارتكزت على كونها طريقا استراتيجيا إلى مستعمراتها في الهند أكثر منها سوق لتصريف البضائع أو سوقا للتجارة الفرنسية.

و يؤكد ما سبق أن الفرنسيين كانوا يعملون لامتلاك الأراضي و السيطرة السياسية ولذلك اتصفت أعمال شركة الهند الفرنسية بنوع من الصفات التي تجمع بين الحماقة و التجبر و التخطيط السيئ ولذلك واجهت صعوبات كبيرة.

فرنسا و عمان :

كانت تقارير الخارجية الفرنسية التي ترد إلى الحكومة من مستعمرتها جزيرة موريشيوس تنصح بضرورة إيجاد علاقات تجارية مع الحكام العرب على سواحل الخليج العربي وعلى وجه الخصوص مع سلطنة عمان بسبب موقعها الهام على مدخل الخليج العربي. و أول اتصال لفرنسا مع سلطنة عمان يرجع إلى عام ١٧٥٩م في عهد الإمام أحمد بن سعيد عندما قامت سفينتين فرنسيتين قادمتين من جزيرة موريشيوس بمهاجمة السفن التي تحمل العلم الانجليزي في ميناء مسقط ، ثم الهجوم على الوكالة البريطانية في بندر عباس وتم تخريبها بالكامل.

وقد تدخل الإمام احمد بن سعيد لحل هذه الأزمة ، حيث كان حريصا على إقامة طيبة مع فرنسا لمواجهة الخطر الانجليزي و الهولندي الذي كان يهدد بلاده.

و أعرب الإمام احمد عن رغبته في زيادة التبادل التجاري مع فرنسا كما طلب إرسال مندوب فرنسي إلى مسقط و بالطبع استجابت فرنسا إيمانا منها بأهمية مسقط كمحطة لتموين سفنها القادمة من موريشيوس في طريقها إلى الهند.

و رغم هزيمة فرنسا أمام انجلترا بعد حرب السنوات السبع (١٧٥٦-١٧٦٣) التي أجبرتها على التنازل عن كل ممتلكاتها في شبه القارة الهندية بمقتدى معاهدة باريس ١٧٦٣م إلا أن فرنسا ظلت حريصة على مواصلة الحفاظ على علاقتها بحكام مسقط.

وقد ساءت العلاقات الفرنسية العمانية بعد ذلك بسبب عمليات القرصنة التي مارستها السفن الفرنسية ضد نظيرتها العمانية أو ضد السفن الأجنبية الأخرى الراسية في الموانى العمانية.
ونتج عن ذلك رفض مسقط إقامة أي وكالة تجارية فرنسية بها مثلما حدث في ١٧٨٥م.

و الجدير بالذكر هنا أن الحكومة العمانية قد تغاضت كثيرا عن أعمال القرصنة الفرنسية ولم ترد بعنف على هذه الهجمات فقد كانت عمان هي الأخرى حريصة لأخر مدى على علاقتها التجارية بفرنسا ، لأن الأسطول العماني كان يقوم بعملية نقل البضائع بين الخليج و بين المستعمرات الفرنسية ، ومن ثم كان التبادل التجاري أكثر ربحا لأهل عمان ، وهذا يفسر سبب تغاضى سلطان عمان عن الاعتداءات الفرنسية بل و استعداده لإقامة وكالة فرنسية بمسقط مرة أخرى في عام ١٧٨٥م في نفس الوقت الذي رفض فيه طلبا انجليزيا بهذا الخصوص.

وقد رأت الحكومة الفرنسية في ذلك الوقت أن البحر الأحمر أكثر أهمية لها من الخليج العربي حيث كان لها ممثلون تجاريون في المدن المصرية يمكنهم الاتصال بجزيرتي موريشيوس و بوربون و إكمال الحلقة التجارية وصولا إلى فرنسا. كما كانت ترى فرنسا أن البحر الأحمر سيكون هو المنفذ لحملتها العسكرية التي تخطط لإرسالها إلى الهند و التي كانت حملتها الأولى على مصر في ١٧٩٨م هي الخطوة التمهيدية لها.

وما لبث أن تغيرت وجهة النظر الفرنسية وتنبهت مرة أخرى لأهمية الخليج العربي وضرورة وجود مراكز لها على سواحله لتتمكن من مواجهة بريطانيا.

و بناءا على اقتناع فرنسا مرة أخرى بأهمية الخليج العربي فقد سعت إلى :

١- ضرورة إنشاء قنصلية لها في مسقط ٢- إرسال بعثة إلى فارس لمراقبة الطرق المؤدية إلى الهند.

وعلى هذا الأساس دعمت فرنسا الإمام سلطان بن احمد لحكم عمان في ١٧٩٢م و بمجرد وصوله إلى الحكم قامت فرنسا بإجراءات إنشاء قنصلية لها في مسقط و أعلنت صراحة أن الغرض من إنشاء هذه القنصلية هو التجسس على حركات الانجليز في الهند و دراسة الأحوال الداخلية في عمان و الجزيرة العربية و الطرق التي يمكن أن يستخدمها الفرنسيون في حال غزوهم للشرق.

و تركزت أهمية مسقط لفرنسا في ذلك الوقت أنها :

-مكان استراتيجي لمراقبة شرق إفريقيا و الهند و الخليج
-يمكن للقنصل الفرنسي بها أن يبعث الرسائل بطرق متعددة برا و بحرا شرقا و غربا
-وجود قنصلية بمسقط تسهل التعامل مع جذر موريشيوس و بوربون ومع المندوبين الفرنسيين في سوارت و كانتون و مدراس في الهند
-يمكن للقنصل الفرنسي في مسقط المساهمة في زيادة التجارة الفرنسية في الخليج إضافة إلى جمع المعلومات الهامة لفرنسا.

و لاشك أن فرنسا كانت تعطى اهتماما كبيرا لعمان باعتبارها نقطة تحكم و سيطرة على الطريق الموصل إلى الهند للقادم من الخليج العربي من ناحية أو القادم عن طريق المحيط الهندي و البحر الأحمر من ناحية ثانية. ووجودها في عمان يمكنها من مراقبة انجلترا و إدارة الصراع بينهما بما يحقق مصالح فرنسا. كما تمثل أملا لها في استعادة مستعمراتها التي فقدتها بسبب هزائمها أمام انجلترا من قبل.

وقد تركز نشاط فرنسا في الخليج العربي في معظمه في عمان ، ولم يكن لها نشاط يذكر مع أي منطقة عربية أخرى على الخليج سوى ممثل سياسي لها في بغداد.

وفى الغالب كان الممثل السياسي الفرنسي في بغداد أحد رهبان الإرساليات الدينية الفرنسية التي ترك لها في أغلب الأحيان مباشرة النشاط التجاري الفرنسي .

و نلاحظ أن علاقة فرنسا بمنطقة الخليج العربي كان يحكمها علاقة فرنسا بدول أوروبا خاصة انجلترا ، فكل الخطوات السياسية و التجارية التي اتخذتها فرنسا خارج القارة الأوروبية عموما و الخليج العربي خصوصا كانت نتاج التنافس الاستعماري بينهما.

و رغم أن فرنسا كانت لديها الإمكانيات الكبيرة التي تجعلها أكبر قوة استعمارية في القرن السابع عشر ، نظرا لتعداد سكانها الكبير الذي يفوق باقي الدول الأوروبية ، بلاضافة إلى إمكانياتها الاقتصادية و المعدنية ، فضلا عن امتلاكها أفضل جيش في عهد الملك لويس الرابع عشر ، إلا أنها لم تحقق النجاح الملحوظ في منطقة الخليج العربي بالمقارنة مع القوى الاستعمارية الأخرى.

فقد اتجه اهتمام الفرنسيين دائما للقارة الأوروبية بسبب الصلة الوثيقة التي تربط فرنسا ببعض الشعوب الأوروبية ، ولذلك كانت الحروب الأوروبية تستنفذ القسم الأكبر من طاقة فرنسا .

ولعل ما يلفت النظر في علاقة فرنسا بالجانب العربي أن تلك العلاقة كانت دائما غير واضحة ، فعلى الرغم من أن أمراء العرب في سواحل الخليج العربي و الجزيرة العربية كانوا على استعداد لصداقة فرنسا بسبب الأطماع البريطانية في بلادهم ، إلا أن السياسة الفرنسية لم تتخذ هدفا واضحا في علاقتها بالخليج إذ كان طابع هذه السياسة حتى منتصف القرن الثامن عشر يتسم بالتردد و عدم الثبات. كما أن بريطانيا لم تتوان في الوقوف بالمرصاد لكل المحاولات الفرنسية الرامية إلى مجابهة النفوذ البريطاني الذي كان يزداد بصورة واضحة في كل مناطق الخليج .

الأطماع الاستعمارية في الخليج العربي (انجلترا)

كانت الثورة الصناعية التي اجتاحت أوروبا المحرك الأساسي لتصارع الدول و ظهور سياسة الاستعمار التي كانت تسمى بالاستعمار الاقتصادي و التجاري إلى جانب ضعف الدولة العثمانية الذي أتاح المجال لتكالب دول الاستعمار الأوروبي على المنطقة ، مما ترتب عليه تغير سياسة بعض الدول تجاه الدولة العثمانية و أكبر هذه الدول هي بريطانيا التي غيرت سياستها من المحافظة على وحدة الدولة العثمانية إلى التسابق لاقتسامها و تفتيت أراضيها ، ومن ثم بدأ الصراع الدولي للسيطرة على المنطقة.

و كان هذا الصراع صراعاً سياسياً و اقتصادياً و دينياً من أجل امتلاك أكبر جزء من ممتلكات الدولة العثمانية و خاصة الخليج العربي ليصبح بذلك منطقة إستراتيجية مهمة للإنجليز حيث يقع في الطريق إلى الهند.

وقد بدأت محاولات الانجليز للوصول إلى الشرق في النصف الثاني من القرن السادس عشر لرغبتهم الشديدة للمشاركة في التجارة الشرقية ، ولكن تخوفهم من القوة البرتغالية في البحار الشرقية في ذلك الوقت دفعهم إلى البحث عن طرق أخرى لا يسلكها البرتغاليون ، فبدئوا بالمتاجرة مع الشرق عن طريق روسيا وبحر قزوين ثم أرسلوا عدة حملات تجارية ولكنها لم تحقق نجاحا ملحوظا.

و استمر الوجود البرتغالي في مناطق الخليج العربي لأكثر من مائة عام و عانت منه عُمان و منطقة جلفار (رأس الخيمة) حتى البحرين ، حيث كان للقاعدتين العسكريتين في مسقط (قلعة الأدميرال و سانت جوا) دوراً كبيراً مع القاعدة البحرية في هرمز في السيطرة على المنطقة ، و بقي الحال على هذا لمدة أكثر من مائة عام حتى بدأت كل من (هولندا و بريطانيا) الحصول على مكاسب في الخليج . وفي عام ١٦٢٢م تمكن الشاه عباس الصفوي بمساعدة أسطول بريطاني تابع لشركة الهند الشرقية الإنجليزية من الانقضاض على القاعدة البرتغالية في هرمز و طرد البرتغاليين.

و أيضا كان لانتشار البروتستنتية في أوروبا نتائج بالغة الأهمية في العلاقات بين الشرق و الغرب في القرن السادس عشر ، فقد رفضت الشعوب الأوروبية البروتستنتية الاعتراف بمنحة البابا للبرتغال باحتكار التجارة الشرقية في عام ١٤٥٤م و تمكنت انجلترا في نهاية القرن السادس عشر من هزيمة الأسطول الاسباني (الأرمادا) و أصبح في مقدورهم الوصول إلى المياه الشرقية و منافسة البرتغال و اسبانيا في الأسواق الشرقية .

و بدأ الانجليز في إنشاء مراكز تجارية لهم وسط معارضة شديدة من البرتغاليين مستغلين رغبة السكان المحليين في التخلص من الحكم البرتغالي بلاضافة إلى عداء الفرس و الهنود و العرب للبرتغاليين ، و تمكنوا من إلحاق الهزيمة بهم في منطقة الخليج العربي.

و أصبح المجال ممهدا لانجلترا التى أسست شركة الهند الشرقية على غرار الشركة البرتغالية لتسير على نفس الخط الاستعماري من خلال السيطرة على التجارة.

دور شركة الهند الشرقية البريطانية :

وقد صدر قرار ملكي في ٣١ ديسمبر سنة ١٦٠٠م من ملكة بريطانيا إليزابيث بتأسيس شركة الهند الشرقية و منحت الملكة هذه الشركة امتياز التجارة في الهند و الشرق ، وكان لهذه الشركة دور كبير في النفوذ و السيطرة الانجليزية ليس فقط على الخليج العربي ولكن على المنطقة بأسرها.

و تعود العَلاقة بين شركة الهند الشرقية و منطقة الخليج العربي إلى بدايات تواجدها في الهند ، حينما حدثت زيادة في الإنتاج و فائض من الأقمشة الصوفية الإنجليزية لديها و وجدوا لها سوق في إيران.

و حصل رجال الشركة على فرمان من الشاه عباس الصفوي في عام ١٦١٩م بفتح وكالة للشركة في ميناء جاسك عند مدخل الخليج العربي بعيداً عن مضايقات البرتغاليين في مضيق هرمز ، وبعد ذلك كان فتح وكالة في شيراز و أخرى في مدينة أصفهان و كان ذلك في عام ١٦١٧م.

وفي عام ١٦٢٠م منع البرتغال سفن شركة الهند الشرقية من دخول ميناء جاسك ، و حدث الصدام بين السفن الإنجليزية و السفن البريطانية ، وساعدت شركة الهند الشرقية الشاه عباس الصفوي على طرد البرتغاليين بشكل نهائي من جزيرة هرمز عام ١٦٢٢م وبعد تلك الأحداث نقلت الشركة و كالتها من جاسك إلى ميناء بندر عباس.

وفي عام ١٧٦٣م نجح رجال شركة الهند الشرقية في الحصول على الموافقة من الايرانيين من أجل فتح وكالة جديدة لهم في منطقة بوشهر، وهذا العمل نقل مركز نشاط الشركة في أواخر القرن الثامن عشر من مدخل الخليج العربي عند جاسك و بندر عباس إلى أعلاه في البصرة و بوشهر ، وبذلك أصبحت بريطانية صاحبة السيادة التجارية في هذه المنطقة بلا منازع و جعلت حكومة بومباي من ميناء بوشهر المقر الرئيسي لها في الخليج العربي.

وفي بداية عام ١٨١٣م توقف النشاط التجاري للمعتمد البريطاني في بوشهر و تحول عمله إلى الجانب السياسي ، كما حرصت حكومة بومباي على فتح وكالة لها في مسقط و التي كان يصل نفوذها من جزيرة كشم حتى ساحل أفريقيا الشرقي و التي تسيطر على مدخل طريق تجاري و بريدي له أهمية ، غير أنّ حكام دولة البوسعيد فى عمان كانوا لا يشجعون عملاً مثل هذا ، وعندما تقدمت شركة الهند الشرقية عام ١٧٨٥م إلى حاكم عُمان السيد حمد بن سعيد تطلب منه فتح وكالة لها ، تم رفض هذا الطلب.

و كانت عمان من خلال ميناء مسقط تقوم بعملية توزيع تجارة الهند القادمة إلى الخليج العربي ، في حين ميناء البصرة كان يقوم بتوزيع تجارة أوروبا الآتية عبر الطريق الصحراوي ، وقد شاركت سفن عُمان السفن البريطانية و الهندية في عملية النقل البحري.

وفي عام ١٦٤٣م عرفت شركة الهند الشرقية بريد الصحراء بين البصرة و حلب منذ افتتاح وكالة البصرة فيها ، حيث كانت تخرج القوافل من غرب الفرات ثم تعبر بادية الشام نحو حلب حيث تتولى الوكالة البريطانية التابعة لشركة شرق البحر الأبيض المتوسط عملية نقل البضائع و البريد بسفنها إلى الجزر البريطانية.

و كان يستغرق وصول البريد ما بين الهند و بريطانيا عبر ذلك الطريق خمسة أشهر بينما كان يستغرق من طريق رأس الرجاء الصالح ١١ شهراً و كان كل مقيم سياسي بريطاني في البصرة قد عمل على توثيق عَلاقاته مع شيوخ القبائل في البادية.

إن تأسيس شركة الهند الشرقية جاء نتيجة للتوسع التجاري الذي شهدته إنجلترا في النصف الأخير من القرن السادس عشر بعد انتصار الإنجليز على الأسطول الإسباني في معركة أرمادا عام ١٥٨٨ ، حيث اندفع الإنجليز للبحث عن أسواق جديدة لتجارتهم المتنامية.

وكانت عمليات الاستغلال الناجحة التي قام بها البرتغاليون في الشرق قد هيأت المزيد من الدوافع و المحفزات للإنجليز لأن يستغلوا فرص توسيع تجارتهم.

وقد ازدهر مركز الشركة هذا حيث أصبحت تدار جميع العمليات التجارية من خلاله ، ولا سيما في فترة انتقال مركز الشركة من بندر عباس للبصرة بصورة مؤقتة على أثر التهديد الهولندي للشركة.

ولكن شركة الهند الشرقية التي احتكرت تجارة الشرق لهذه الفترة جوبهت بمنافسة لم تكن متوقعة من قبل شركة إنجليزية جديدة برئاسة وليم كورتين الذي أفلح في الحصول على ترخيص من الملك تشارلس الأول للقيام بالعمليات التجارية في الشرق

وكان لابد من احتدام الصراع بين الشركتين البريطانيتين ولكن توصلتا معا إلى دمج أعمالهما عام ١٦٤٩ ليصبحا شركة موحدة تتقاسمان الأرباح مناصفة.

أما انعكاسات تلك التطورات على منطقة الخليج العربي ، فقد هيأت الظروف للشركة الموحدة مناخاً " إيجابياً " لتوسيع نشاطها لا على فارس وحدها ، بل على معظم السواحل العربية في الخليج العربي.

وعلى الرغم من مقاومة التجار الفرس لشركة الهند الشرقية و منافسة الهولنديين ثم الفرنسيين لها ، فإنها استطاعت أن تتفوق و تبسط نفوذها بقوة في المنطقة ، وذلك بفضل الدعم الذي حصلت عليه الشركة من خلال المرسوم الذي حصلت عليه في عام ١٦٥٧ و الذي يعطيها الحق في التجارة مع الشرق. وقد استمر دعم استمر دعم الحكومة البريطانية للشركة و أصدر الملك شارل الثاني مرسوماً عام ١٦٦١ أعطى الشركة امتيازاً أعظم بكثير مما كانت قد حصلت عليه في الفترات السابقة.

كذلك استطاعت الشركة القضاء على المنافسة الأخرى لها ، سواء الهولندية أو الفرنسية . وهكذا أصبح الميزان التجاري في منطقة الخليج العربي لصالح شركة الهند الشرقية الإنجليزية ، و أصبحت المناطق المطلة على الخليج العربي من الأسواق الرئيسة للشركة ، و صارت العملات الذهبية تخرج من مناطق الخليج العربي دون قيود بما فيها اللؤلؤ.

وغدت شركة الهند الشرقية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر دون أيّ منافسة أجنبية تذكر في الخليج. وقد حلت البصرة محل " بندر عباس " مركزاً رئيساً للشركة في الخليج العربي اعتباراً من عام ١٧٦٣.

و الحقيقة أن المنافسة للنفوذ الانجليزي في المنطقة لم تكن من قبل البرتغاليين فقط و إنما كانت هناك قوى أخرى تعمل على إضعاف الوجود الانجليزي في الخليج العربي ومن أهمها ألمانيا و فرنسا و روسيا.

وعلى الرغم من المواثيق و المعاهدات التي كانت تعقد بين بريطانيا وغيرها من الدول الكبرى ، إلا أن بريطانيا كانت في أغلب الأحيان تتحايل من أجل خرق تلك التعهدات لتستأثر بالخليج وحدها ، وقد نجحت في إبعاد فرنسا عن طريقها ، كما نجحت في إحباط مشروع ألمانيا الذي عرف تاريخياً بخط حديد برلين – بغداد لينافس النفوذ البريطاني في المنطقة.

المنافسة الألمانية و الروسية و الفرنسية :

وكانت ألمانيا وليدة الثورة الصناعية التي جعلت منها دولة قوية و خاصة بعد أن توحدت على يد بسمارك ، وقد اتخذ الصراع الألماني البريطاني طابعاً تجارياً عن طريق نشر البضائع الألمانية المشهورة بجودتها و كفاءتها التي لا تنافس ، مما شكل خطراً هدد الوجود الاقتصادي البريطاني في المنطقة ، ومن ثم كان دخول روسيا دولة معارضة لإتمام مشروع خط حديد برلين – بغداد الذي كان يشكل خطورة على سير الخطوط الحديدية الروسية في القوقاز و بقية المناطق ، بل إن النفوذ الألماني سيحول دون وصول روسيا إلى المياه الدافئة في الخليج العربي و البحر الأبيض المتوسط.

ولذا كان الصراع صراعاً دولياً لتحدي الوجود البريطاني المهيمن على الخليج ، وهو ما دفع روسيا لتنفيذ محاولتها للوصول إلى الخليج ، و رغبتها في إنشاء ميناء و قاعدة حربية في الخليج ، فاختارت روسيا فارس بحكم الجوار الجغرافي و الحدود الطويلة المشتركة بينهما ، لتكون قاعدة انطلاق نحو طموحها للبحار المفتوحة و المياه الدافئة ، فأصبحت فارس محوراً أساسياً للوصول إلى الخليج العربي.

ولم يقتصر نشاط روسيا على الأمور العسكرية فقط للنفوذ إلى فارس و السيطرة عليها ، بل بدأت تخوض مجالات أخرى تمثلت في إرسال القناصل بصورة مستمرة و إقامة شبكة من خطوط السكك الحديدية و الخطوط الملاحية و الشركات التجارية و البعثات الروسية على هيئة ضباط عسكريين و زيارات مسئولين و أطباء للبحث عن منفذ لهم على الخليج العربي ، فكان التركيز على فتح القنصليات في مدن فارس و الخليج يشكل نشاطاً دبلوماسياً مهماً اعتمدت روسيا عليه لرعاية مصالحها.

وسعت روسيا أيضاً لإنشاء خط ملاحي روسي لربط موانئ روسيا بالخليج لتقوية التبادل التجاري بين المنطقتين ، بالإضافة إلى الطب الذي استخدمته روسيا ذريعة للتدخل في شؤون فارس و الخليج ، فأصبحت هذه المهنة مرتبطة بأمور سياسية للتأثير في سكان المنطقة ، مما أثار حفيظة بريطانيا و قلقها ، بخاصة أن الأطباء كانوا يرسلون التقارير السياسية الرسمية إلى الحكومة الروسية ، وكان الهدف هو مضايقة الإنجليز و عرقلة الطريق البري التجاري بين الهند وخراسان للحد من انتشار التجارة الإنجليزية.

و الجدير بالذكر أن بريطانيا هدفت إلى إضعاف فارس تمهيداً لزيادة السيطرة عليها و التدخل في شؤونها و بخاصة أن الخطر الروسي ليس خطراً عسكرياً فحسب ، بل هو استعمار اقتصادي لمنطقة الشرق الأدنى ، فبدأت المناورات العسكرية البحرية الإنجليزية ، لاستعراض قوة البحرية البريطانية لوقف النشاط الروسي ، كما بدأت في إثارة القلاقل في وجه الروس في العراق و داخل روسيا الوسطى ، لتشتيت القوات الروسية ، ومنعها من الاقتراب من الخليج .

وقد أسفر الصراع الروسي الإنجليزي للسيطرة على المنطقة عن فشل محاولات روسيا في تحقيق أهدافها في مختلف مناطق الخليج بما فيها المحمرة ، وعن اقتسام النفوذ في فارس : شمال فارس لروسيا و جنوبها لبريطانيا.

وهكذا امتازت العلاقة بين روسيا و بريطانيا بالتصادم ، و كانت الأراضي العربية مجالاً واسعاً لهذا التصادم . و بسيطرة بريطانيا على الخليج ضمنت لنفسها امتلاك الطريق التجاري الكبير المتمثل في الخليج ، وفي منطقة ما بين النهرين.

أما فرنسا التي أنشأت شركة الهند الشرقية الفرنسية سنة ١٦٦٤م للتجارة ، و أقامت علاقات جيدة مع العمانيين من خلال معاهدة تجارية مع سلطان مسقط سمحت لها بإقامة و كالة فرنسية تشرف على تجارة فرنسا في الشرق ، كما أقامت محطة لتزويد الأسطول الفرنسي بالمياه ، وفي أثناء وجود نابليون في مصر عام ١٧٩٨م حاول الاتصال بسلطان مسقط إلا أن الإنجليز عرقلوا جهوده .

و جاءت خسارة فرنسا لأسطولها البحري في الإسكندرية عام ١٧٩٩ كبداية لنهاية المنافسة بينهما لصالح بريطانية و سيطرتها الاستعمارية على جميع الطرق البحرية في بحر العرب ، خاصة بعد سقوط جزر موريشيوس عام ١٨١٨ و طرد الفرنسيين منها كليا و تمثلت الإستراتيجية البريطانية الاستعمارية على المنطقة بالتحالف مع شيوخ المنطقة مقابل استمرار نفوذ بريطانيا و تجارتها فيها ، لقد رسمت الإستراتيجية البحرية البريطانية قوسا بحريا كانت الهند مركزه للسيطرة المطلقة على المحيط الهندي و بحر العرب للحيلولة دون دخول أي منافس استعماري يهدد مصالحها.

اليعاربة و كفاحهم ضد الاستعمار البرتغالي

(اليعاربة و البوسعيد)

كان العمانيون إحدى القوى الرئيسية التي لعبت دورا كبيرا في الصراع الدولي في منطقة الخليج العربي خلال الحقبة التاريخية ابتدأ من القرن الخامس عشر و حتى منتصف القرن التاسع عشر.

وكان لموقع عمان الحساس و الهام اثر كبير في هذا الدور ، فمن الناحية الجغرافية تطل عمان بسواحلها الطويلة على البحر العربي و خليجي عمان و الخليج العربي ، ولذلك كان اتصالهم مباشرا بالمحيط الهندي و السواحل الإفريقية و الأسيوية .

و كان للعمانيين دور كبير في حركة التجارة و النقل بين الشرق و الغرب. وقد انعكس هذا الدور على السياسة العمانية تجاه القوى الاستعمارية بشكل مختلف من قوى لأخرى كما ذكرنا من قبل .

و بسبب موقع عمان على مدخل الخليج العربي فكانوا هم أول من تلقى صدمة الاستعمار البرتغالي الشرسة في عهد القائد البرتغالي البوكر ، الذي مارس أعمال السلب و التدمير و الخراب في المنطقة كما سبق و ذكرنا. ولم يستطع العمانيون في ذلك الوقت الدفاع عن بلادهم لأن سرعة الهدم كانت أكبر من سرعة تجميع القوى و تنظيم المقاومة فوقع عليهم هذا العدوان كالصاعقة.

وبعد أن سقطت معظم المدن العمانية الساحلية في أيدي البرتغاليين في بداية القرن السادس عشر ، بدأ العمانيون في تنظيم جهودهم لإخراج البرتغاليين وقد بذلوا في ذلك جهودا كبيرة. وقد حاول العمانيون تحقيق هذا الهدف بمفردهم تارة و بمساعدة الأتراك تارة أخرى ولكن دون جدوى بسبب التفوق الكاسح للبرتغاليين في ذلك الوقت طوال القرن السادس عشر. ثم بدأ العمانيون في الاستفادة من الاحتكاك بالبرتغاليين في صناعة السفن و استخدام المدفعية و بدأت المقاومة تؤتى أثارها بالتدريج منذ أواخر القرن السادس عشر على أيدي الأئمة اليعاربة.

وكانت قبيلة اليعاربة كغيرها من القبائل العربية التي استقلت كل واحدة بمنطقتها بعد ضعف الإمامة بعمان و تغلب بني نبهان عليها. وقد اشتهر رؤساء و حكام اليعاربة بسمعتهم الدينية و اهتمامهم بقضية بعث الإمامة و إعادتها إلى سابق عهدها على أساس المذهب الأباضى ، وتولى ناصر بن مرشد بن مالك أبى العرب الحكم بداية من عام ١٦٢٤م ولذلك سمي حكمهم باليعاربة والذي دام حتى عام ١٧٤٣م . و كانت عودة الإمامة لليعاربة نقطة هامة في تاريخ عمان حيث أصبحت في زمنهم أقوى دولة في المحيط الهندي و الخليج العربي ولها أملاك في سواحل الهند و الجزيرة العربية و شرق أفريقيا و سواحل إيران.

نشر اليعاربة الأمن في سواحل المنطقة و كانت أساطيلهم مصدر الرعب للقراصنة. وقد أدى الاستقرار الذي نعمت به المنطقة إلى زيادة الإنتاج و وفرة المحاصيل و ساهم في ذلك توقف الهجمات الاستعمارية و سيل المغامرين الأوربيين من هولندا و البرتغال و انجلترا مؤقتا بسبب الحروب التي كانت دائرة في أوروبا في ذلك الوقت. أما الجانب السلبي فقد تمثل في الأتراك و الإيرانيين الذين كانوا يحاولون إضعاف أي قوة عربية و كان اليعاربة هم من وقع على عاتقهم الصمود أمام القوى الطامعة الخارجية و تعتبر دولة اليعاربة و العهود الأولى من دولة البوسعيد من أزهى عصور عمان.

حروب اليعاربة ضد البرتغاليين :

تصدى الإمام ناصر بن مرشد لاستعمار الأجنبي المتمثل في القوات البرتغالية التي كانت تحتل السواحل العمانية و قواعدهم في مسقط و صحار و رأس الخيمة تسيطر على مدخل الخليج العربي و الإيرانيون فى عونهم . و استطاع الإمام أحمد توحيد الجبهة الداخلية و قضى على المعارضة و واجه البرتغاليين و استولى منهم على رأس الخيمة و كانت ضربة قاسمة ثم استسلم البرتغاليون أمامه في مسقط و صحار عام ١٦٤٩م على أن يدفعوا الجزية مقابل استمرارهم فى المنطقة و بعد وفاته واصل ابن عمه الإمام سلطان بن سيف مقاومته للوجود البرتغالي حتى استطاع في ١٦٥٠م أن يرغم البرتغاليون على تسليم قلعتهم التي لا تقهر ثم الرحيل عن البلاد.

وقد ساهم انتصار العثمانيين على البرتغاليين في جلاء البرتغاليين عن باقي مراكزهم في الخليج العربي . ولم يكتفي الإمام سلطان بهذه الانتصارات التي تحققت له على البرتغاليين و إنما أخذ في مهاجمتهم فى سواحل الهند أيضا ، وبعد وفاته واصل خلفاؤه بمواصلة القتال ضد البرتغاليين و كذلك الإيرانيين الذين اتفقوا مع البرتغاليين على الحرب ضد العرب. و نتيجة هذه الانتصارات فقد اتصل باليعاربة سكان شرق أفريقيا الذين كانوا يعانون من بطش الاستعمار البرتغالي ، يطلبون منهم النجدة لتخليصهم من البرتغاليين ، و بالفعل قام العمانيون بمساعدتهم و نجحوا في طرد البرتغاليين من شرق أفريقيا.

البوسعيد :

تنسب أسرة البوسعيد الى احمد بن سعيد مستشار الامام سيف بن سلطان ، الذى كان يعانى من كثرة الدسائس و الاضطرابات فى اخر أيامه فاعتمد على احمد بن سعيد فى ادارة البلاد و تميزت ادارته بالحزم و القوة و اليقظة. وبسبب النزاعات الداخلية بين مدعى الامامة و بين الامام سيف بن سلطان تدخلت ايران من خلال المساعدة التى طلبها سيف بن سلطان منهم ضد خصومه فكانت فرصة لايران للتدخل فى عمان و أيضا السيطرة على بعض المدن العمانية الهامة مثل مسقط و المدن المحيطة بها. وقد ازداد هذا التدخل و النفوذ الايرانى بعد وفاة الامام سيف بن سلطان.

البوسعيد و الفرس :

في تلك الفترة الصعبة و الحرجة تمكن احمد بن سعيد من الصمود أمام الهجوم الفارسي رغم نفاد إمداداته حتى انتهى الأمر بالصلح مقابل رحيل الفرس حتى مسقط. ثم استطاع احمد بن سعيد من محاصرة الفرس في مسقط و استطاع في النهاية طرد الفرس من مسقط و أصبح بعدها المخلص الوحيد للبلاد من شر الفرس الذين تم طردهم نهائيا في ١٧٤٤م مؤسسا بذلك أسرته الحاكمة التي عرفت بأسرة البوسعيد . وبعد أن استقر الوضع في عمان بدأ احمد بن سعيد فى تأسيس جيش دائم و تأسيس قواعد قضائية و اقتصادية و إدارية كان لها دور كبير في ازدهار و قوة عمان آن ذاك.

وقد اتسمت العلاقات الفارسية بالدولة البوسعيدية بالتنافس من أجل الحصول على السيادة البحرية ، فمن المعروف إن فارس قد سعت ومن خلال فترات مختلفة من تاريخها نحو تحجيم القوة البحرية العمانية . لقد واجه الأسطول الفارسي في عهد نادر شاه مشاكل عديدة منها اعتماده بالدرجة الأولى على المساعدات الأجنبية في بنائه ، وكذلك افتقاره إلى وجود الخبرات المحلية المتمرسة في فنون الملاحة مما دفع بقيادة الفرس إلى الاستعانة بالبحارة العرب لقيادة هذا الأسطول.

و بعد وفاة نادر شاه خلفه في الحكم كريم خان زند الذي حاول السير على نهج سلفه نادر شاه التوسعي في منطقة الخليج العربي ، ومن هذا المنطلق بعث كريم خان برسالة الى الإمام أحمد طالبا منه دفع الجزية السنوية ، متعللا بما يدعيه بتبعية عمان إلى فارس ، ولكن الإمام أحمد بن سعيد رفض المطالب الفارسية باسلوب رجال السياسة المتمرسين الذين يعرفون كيفية مخاطبة التطلعات الاستعمارية ، وذلك برفض المطالب الفارسية جملا و تفصيلا.

و بدء الإمام في التخطيط لاستخدام القوة التي قد يلجأ إليها عدوه و قام بالتحاف مع خصوم الفرس و خاصة الأتراك ، وبسبب ضعف منافسي الإمام وموت كريم خان ، استطاع الإمام أحمد بن سعيد استعادة مركز عمان القوي في منطقة الخليج العربي ، لذلك نفهم من السطور السابقة أن العلاقة ما بين الدولة البوسعيدية و فارس ، علاقة عدائية من قبل الفرس الذين كانوا يطمعون في خيرات عمان ، خصوصا وأن عمان أصبحت لها في ذلك الوقت قوة بحرية كبيرة.

ومع مطلع عام ١١٨٩هـ/١٧٧٥م قام الفرس بالهجوم على البصرة بحجة سوء المعاملة التي يلقاها الفرس و الضرائب التي تفرض عليهم وهم في طريقهم إلى الأماكن المقدسة في النجف و كربلاء.
ولم تجد القبائل العربية في البصرة حرجاً من الاستنجاد بالإمام احمد بن سعيد الذي وضع إمكانات بلاده تلبية لنداء أخوانه في البصرة و أعد أسطولاً . وعلى الرغم من نيران المدفعية الفارسية التي صوبت نحو العمانيين إلا أنهم قد تمكنوا من دخول شط العرب في منتصف عام ١٧٧٥م .

لقد حقق الإسطول العماني الحماية الكاملة لمنطقة شط العرب و أمن المساعدات القادمة من عمان وفي أوائل عام ١٧٧٦م إنسحب الإسطول العماني عائداً إلى بلاده خوفاً من أن تكون فارس تعد العدة للهجوم على عمان .

لقد كان إنقاذ البصرة و أهلها من الهجوم الفارسي سبباً كافياً لتقدير العثمانيين الدور العماني لذا فقد تقرر أن تمنح عمان مكافأة سنوية من خزانة البصرة وقد إستمرت هذه المكافأة منذ عهد الإمام أحمد بن سعيد و حتى عهد السيد سعيد بن سلطان

علاقة البوسعيد مع القوى الأوروبية :

وقد كان الصراع الدولي في تلك الفترة صراعا من أجل الحصول على مناطق النفوذ و الامتيازات ، وبذلك نجد الصراع الذي قام بين بريطانيا و فرنسا حول عمان ذات الموقع الاستراتيجي المميز ، و محاولة كلا منها ضمها إلى مناطق نفوذها ، ولقد فطن الإمام احمد بن سعيد إلى التطلعات الاستعمارية الأوروبية و رسم سياسة خارجية لعمان ارتكزت على مبدأ الحياد و تميزت العلاقة الفرنسية البريطانية بالاستقرار ، إلا أن هذا الاستقرار تعرض لبعض الهزات و خاصة عندما نشبت حرب السنوات السبع (١٧٥٦-١٧٦٣م) بين البلدين ، في هذه الفترة حدث نوع من الاضطراب في المياه العمانية .

و الجدير بالذكر أن الإمام احمد بن سعيد كان أول من بدأ بالتعامل التجاري مع فرنسا في جزيرة مورشيوس التابعة للسلطة الفرنسية و بعض المستعمرات الفرنسية الأخرى حيث كانت السفن العمانية تذهب محملة بالسكر و تعود محملة بالسمك المملح و البن ، و نتيجة للتطورات التجارية بين عمان و المستعمرات الفرنسية في المحيط الهندي في تلك الفترة ، أبدى الإمام أحمد بن سعيد رغبته في أن ينشئ الفرنسيون وكالة تجارية في ميناء مسقط دون مقابل .

و كانت طبيعة العلاقة بين فرنسا و عمان طبيعة تجارية ، وقد أدرك الإمام احمد بن سعيد أهمية الصداقة الفرنسية ، و رغم تعرض هذه العلاقات إلى التوتر في عهد سعيد بن ناصر بسبب بعض أعمال القرصنة من قبل السفن الفرنسية. وقد بلغت العلاقات الفرنسية العمانية ذروتها عندما اقترحت فرنسا تعيين وكيل دائم لها في مسقط ، ولكن لم ينفذ هذا الاتفاق رغم ترحيب الجانب العماني بسبب الثورة الفرنسية التي قضت على النفوذ الفرنسي في الشرق الأدنى . ثم أصدرت فرنسا بعد مرور الثورة مرسوم بتأسيس قنصلية في مسقط ولكن وقفت انجلترا بالمرصاد لإفشال كل المساعي الفرنسية الهادفة للتقارب مع العمانيين.

أما على الصعيد البريطاني ، فعندما نزلت حملة نابليون بونابرت على مصر و كانت تستهدف الإنجليز في الهند ، استغلت بريطانيا مشاعر المسلمين ضد الحملة الفرنسية على مصر لمنع فرنسا من التغلغل في عمان و الخليج و بالفعل تمكن الانجليز من توقيع معاهدة بين سلطان بن احمد حاكم مسقط و بين شركة الهند الشرقية الانجليزية في ١٧٩٨م. وقد تضمنت هذه المعاهدة نصوص من شأنها تقوية العلاقات بين عمان و بريطانيا للقضاء على النفوذ الفرنسي و الهولندي. و أهمية هذه المعاهدة أنها أول معاهدة تعقدها انجلترا مع حكام عرب الخليج و تتسم بالطابع السياسي .

و تحت حجة منع تجارة الرقيق أبرمت بريطانيا مع البوسعيد معاهدة أخرى في ١٨٠٢م تعهد فيها بإيقاف تجارة الرقيق ، ثم معاهدة تجارية في عام ١٨٣٩م.

وفيما يبدو أن الأوضاع الداخلية كانت وراء قبول العمانيين للموافقة على هذه المعاهدات رغبة في العون البريطاني المدعم لفريق على حساب الأخر أثناء الصراع الداخلي العماني . وقد ثار الشعب العماني في ١٨٠٨م ضد هذه المعاهدات مع بريطانيا و حقق قدر من النجاح بتقليص هذه العلاقات و لكنها لم تكن بالقوة التي تستطيع أن تقطع تلك العلاقات نهائيا.

و رغم المعاهدات التى أبرمها العمانيون مع القوى الاستعمارية المختلفة الا أن أبرز هذه المعاهدات و أكثرها فاعلية هى المعاهدات مع فرنسا التى كانت تعكس سياسة عمان فى الحفاظ على علاقات طيبة مع فرنسا لأضعاف و مواجهة النفوذ البريطانى الذى كان واضحا قوته و تركيزه على منطقة الخليج . ولكن بعد هزائم فرنسا أمام انجلترا فقد انفردت بريطانيا فى الميدان دون منازع فكان السعى للتقرب العمانى مع انجلترا من أجل حاجة البوسعيد الى قوة كبيرة تسانده فى مشاكله الداخلية و تحقيق طموحاته فى السيطرة على الخليج العربى و البحرين.

دور القوى المحلية في الخليج العربي في مقاومة الاستعمار

(القواسم)

وقد أطلقت تسمية القواسم أو (الجواسم) بشكل عام على كل القبائل القاطنة في المنطقة الواقعة ما بين رأس مسندم شمالا و أبوظبى جنوبا ، التي كانت تخضع في ولائها إلى شيخ القواسم . و بعض الآراء تشير إلى أن القواسم قبائل وفدت من العراق بعد هجرتها من أواسط الجزيرة العربية. وهناك أراء أخرى متعددة و لكن بعيدا عن اختلاف الآراء حول أصل القواسم إلا أنها جميعا أجمعت على أنها عربية الأصل ، وأن هذه القبائل استطاعت منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر السيطرة على جزء كبير من مدخل الخليج العربي ومن رأس مسندم إلى دبي.

و بالفعل شكل القواسم إحدى أهم القوى البحرية في الخليج العربي خلال تلك الفترة و بدايات القرن التاسع عشر . وهى الفترة التي شهدت ازدياد الهيمنة البريطانية في الشرق بصفة عامة على باقي منافسيهم من القوى الأوروبية.

و امتد نشاط القواسم البحري إلى بحر العرب و البحر الأحمر وسواحل الهند الغربية. و يعتبر الزعيم رحمة بن مطر (١٧٢٢ – ١٧٦٠ م) هو أقوى و ابرز زعماء القواسم تذكره المصادر .

وقد اصطدم القواسم بالبوسعيد في نهاية النصف الأول من القرن الثامن عشر أثناء الاضطراب الداخلي و الحرب الأهلية في عمان عندما احتدم الصراع بين أحمد بن سعيد و بلعرب بن حمير وفى هذا الصراع وقف القواسم في صف بلعرب بن حمير ، الأمر الذي دفع احمد بن سعيد بعد أن انفرد بحكم عمان ، أن يحاول أن يخضع القواسم و دخل معهم في اشتباكات عسكرية حققت له بعض الانتصارات و لكنها لم تكن حاسمة و محققة للغرض بسبب المشاكل الداخلية في عمان ، الأمر الذي خدم القواسم في ذلك الوقت.

مقاومة الفرس :

و رغم الخلاف و أحيانا الصراع بين القواسم و البوسعيد إلا أنهما قد تعاونا معا لمقاومة الأطماع الاستعمارية في المنطقة .
فقد تعاون القواسم مع العمانيين لمقاومة الأطماع الفارسية التي تمثلت في تهديدات الفرس بقيادة كريم خان للساحل العربي في عام ١٧٧٢م . و أمام هذه التهديدات المتكررة تعاون الشيخ راشد بن مطر مع إمام عمان مرة أخرى في ١٧٧٥م مع القواسم ضد الفرس و هاجموا ميناء بندر عباس و قاموا بتدمير سفينتين فارسيتين و مخزن للذخيرة.

وقد سعى القواسم إلى تحرير الساحل الشرقي و الجزر القريبة منه من الاحتلال الفارسي ، و فور سقوط الدولة الصفوية في ١٧٢٢م قام الشيخ راشد بن مطر بالاستيلاء على باسيدو في جزيرة قشم عام ١٧٢٦-١٧٢٧م و جعلها قاعدة تجارية كبرى كان لها اكبر الأثر على عوائد ميناء بندر عباس و الفوائد المتأتية منه.

و بسبب نشاط القواسم في الخليج العربي و سيطرتهم على بعض المراكز الهامة فيه بدا الانجليز في الانتباه إلى هذا الخطر المحلى الذي يهدد مصالحهم الاستعمارية في المنطقة.

فعلى سبيل المثال فان الانجليز كانوا يحصلون على نصف إيرادات ميناء بندر عباس ، و بعد موت نادر شاه في عام ١٧٤٧م و تدهور البحرية الفارسية بدا القواسم يمارسون نفوذا كبيرا يمهد لبسط سيادتهم على مسرح الأحداث بشكل بارز.

و يجب الإشارة هنا إلى أحد العوامل الهامة التي ساعدت العرب و القواسم بشكل كبير في تفوقهم على الفرس ، وهو اعتماد الفرس على البحارة العرب في اسطولهم بسبب قلة خبرة الفرس من ناحية و مهارة العرب في النشاط البحري من جهة أخرى ، الأمر الذي أستغله العرب في الانتفاضة ضد الفرس وقت الأزمات الفارسية سواء الداخلية أو الخارجية.

حدث أخر هام في تلك الفترة وهو علاقة المصاهرة التي نشأت بين قائد الأسطول الفارسي (ملا شاه) ، الذي أصبح لديه اسطول خاص ، وبين القواسم من خلال زواج ابنة ملا شاه بالشيخ رحمة بن مطر القاسمى. فقد كانت لهذه المصاهرة أهمية كبرى حيث كانت بداية لتحالف هذا القائد مع القبائل العربية النشطة في المنطقة ، و أصبح بمقدور القواسم الاستفادة من هذا الأسطول الخاص بملا شاه و استخدامه ضد خصومهم و منافسيهم في الخليج العربي ، فقد ازدادت قوة القواسم بشكل كبير في تلك المرحلة كما ازدادت قوة الملا شاه أمام منافسيه في فارس حتى استطاع تحرير جزيرة هرمز و اتخاذها حصنا له.

وفى عام ١٧٧٧م تولى صقر بن راشد زعامة القواسم وهو الذي يعرف بأنه مخطط النهضة القاسمية الحديثة ، فقد عزز قوته بعدة تحالفات مع قوى و قبائل عربية عديدة .

وقد أشارت التقارير البريطانية إلى خطر اسطول القواسم ، الذي بلغ في بداية القرن التاسع عشر ، ثلاث وستون سفينة كبيرة غير عدد السفن الصغيرة ، وهى القوة التي ستمكنه ليس فقط من الاستمرار في التوسع ولكن أيضا في مد نفوذه إلى مناطق تمثل لبريطانيا أهمية قصوى في استمرا إمبراطوريتها في الشرق . وشكل ذلك مكمن الخطر لبريطانيا ، التي بدأت تنظر إلى القواسم بعين العداء.

ومنذ ذلك الوقت و بريطانيا تنتظر الفرصة المناسبة للقضاء على هذا الخطر الجديد ، و جاءتها الفرصة بعد تمكنها من إنهاء المنافسة الاستعمارية بينها و بين فرنسا لصالحها ، كما استغل الانجليز حالة العداء التي كانت قائمة بين سلطان عمان و القواسم ، فاستعانوا بسلطان عمان لتدمير القواسم .

و جاءت الفرصة عندما طالب الزعيم القاسمى حسين بن على حكومة بومباي بدفع ضريبة على السفن البريطانية المارة في الخليج ، الأمر الذي استفز البريطانيين .

الحملات البريطانية على القواسم :

في أوائل عام ١٨٠٩م أصدر الحاكم العام للهند أوامره إلى حاكم بومباي بالإعداد لحملة عسكرية هدفها تدمير كل السفن الحربية التابعة للبحرية القاسمية مع محاولة تجنب الاشتباكات البرية معهم .

و بالفعل انطلقت هذه الحملة في نفس العام من ميناء رأس الخيمة مع إعطاء الأوامر للمقيم البريطاني في مسقط بإقناع سعيد بن سلطان حاكم عمان بتقديم الدعم لهذه الحملة و تأمين حصولها على المرافق و الإمدادات .

و كانت بريطانيا فى طلبها الدعم من البوسعيد تؤكد على أن هذه الحملة هدفها مساعدتهم ضد القواسم.

و ابرز ما يمكن ملاحظته في ذلك الوقت أن نية بريطانيا كانت مبيتة للقضاء على القوة الأساسية للقواسم وهى القوة البحرية ، فقد كانت أهم الأوامر لقيادة الحملة هي محاولة التوصل إلى اتفاق مع القواسم ، بعد تدمير اسطولهم بالطبع على عقد معاهدة معهم بالتأكيد ستكون معاهدة فرض الشروط و الاستسلام و ليس معاهدة طرفين متكافئين .

كما كانت بريطانيا تهدف أيضا إلى عزل القواسم عن الوهابيين لكي يسهل ضربهم من ناحية وعدم إيصال العلاقات الانجليزية الوهابية لمرحلة العداء الصريح لما يمثله ذلك من خطر على المصالح البريطانية في المنطقة.

أما عن موقف سلطان بن سعيد من الحملة البريطانية و مطالبها ، فلم يكن متحمسا وكان متشائما من نتائجها ربما بسبب الهزيمة التي لاقاها على يد قوات القواسم قبل وقت قليل .

وقد تحركت الحملة البريطانية و اشتبكت مع قوات القواسم التي استبسلت وقاومت تلك الحملة بشكل كبير أنهك قوى الانجليز.

و وجد قائدي الحملة البريطانية أن المقاومة العنيدة للقواسم لن تأتى بنتائج حاسمة فلجئوا إلى إحراق المدينة (رأس الخيمة)و أوقع البريطانيين أشد الانتقام بالمدينة و مارس الجنود الانجليز السلب و النهب ، كما أحرقوا السفن الراسية في الميناء.

و رغم حرق المدينة والعنف البريطاني إلا أن الأوامر قد صدرت إلى الحملة بالانسحاب بأقصى سرعة بسبب ما تردد عن وصول قوة عربية كبيرة تقترب من المدينة. و بدا القواسم يجمعون أنفسهم أثناء انسحاب الحملة ملوحين بالقتال و رافضين الاستسلام الذي كان يسعى إليه الانجليز.

فتوجهت الحملة البريطانية إلى الشمال قاصدة (لنجة) الميناء القاسمى المزدهر على الجانب الشرقي من الخليج العربي ، ولم تلق الحملة أية مقاومة حيث أن سكان المدينة قد انسحبوا إلى المرتفعات القريبة منهم ، فدخل الجنود البريطانيون المدينة الخالية و قاموا بإحراقها و تدمير سفنها.

عند هذه النقطة من الاشتباكات بين الحملة البريطانية و القواسم جرى الاتفاق مع حاكم مسقط لتنظيم هجوم مشترك على باقي المدن و القلاع القاسمية.

و بسبب الهجوم المكثف على معظم المراكز و الموانئ التابعة للقواسم و التي تمت في وقت واحد اضطر القائد العربي (الملا حسين) إلى الاستسلام و ترك جزيرة قشم إلى احد شيوخ بني معين وهو حليف لحاكم مسقط فأصبحت من ممتلكاته.

و أكملت الحملة بمعاونة القوة البحرية العمانية مهاجمة باقي مراكز القواسم.

و رغم تدمير الكثير من دفاعات القواسم و شدة القصف من الجانب الانجليزي لقلاع و مراكز القواسم إلا أن مقاومتهم كانت قوية بشكل ملفت للنظر ولم يستطع الانجليز ، رغم تفوقهم العسكري ، تحقيق أهدافهم بشكل كامل . و بسبب استمرار تلك المقاومة الباسلة كان عقد معاهدة معهم من قبل الانجليز أمر غير وارد.

و بذلك فشلت الحملة البريطانية في تحقيق أهدافها وكل ما حققته هو إيقاع الدمار ببعض الموانئ القاسمية و حرق بعض السفن.

أعتقد البريطانيون أن الضربة القاسية التي تعرض لها القواسم على أيدي الحملة السابقة جعلتهم غير قادرين على مواصلة نشاطهم البحري و مهاجمة السفن البريطانية مرة أخرى.

ولكن ما حدث هو العكس فأقتصر انجاز هذه الحملة على مجرد إعاقة نشاط القواسم مدة قصيرة فحسب. وما لبث أن استعادوا نشاطهم مرة أخرى بل و بشكل كبير و استطاع القواسم تعويض خسائرهم في السفن التي فقدوها على أيدي الانجليز و منذ عام ١٨٢٠م ازدادت قوتهم حتى أصبحوا من جديد أقوى قوة بحرية على طول خط الملاحة في الخليج العربي.

و عادت تقارير الحاكم البريطاني في بومباي تحذر من تزايد نشاط القواسم ، الذي لو استمر على ما هو عليه سيتمكن من السيطرة المطلقة على الخليج العربي مما سيعرض مركز بريطانيا إلى خطر أكيد . فأعد البريطانيين حملة من عدة سفن و أرسلوها لإنذار زعيم القواسم بوقف نشاطه ، و رفض القواسم الإنذار البريطاني و هاجمتهم السفن البريطانية و لكنها فشلت في إخضاع القواسم الأمر الذي أدى إلى ازدياد نشاطهم.

وقد دفع ذلك بريطانيا إلى إبقاء قوة بحرية دائمة في المنطقة و إتباع نظام الحراسة لقوافل سفنها التجارية.

ثم تطور الوضع و دخلت بريطانيا مع القواسم في صراع عنيف من خلال القطع البحرية للطرفين أكثر من ثلاث سنوات شمل سواحل الخليج العربي و الهند .

ولم يجد البريطانيين سوى الإعداد لحملة عسكرية كبرى لتحطيم هذا الخطر وهذه القوى الكبرى. و جاءت الفرصة بعد انهيار الدولة السعودية الأولى على القائد الألباني محمد على ، و بسقوطها فقد القواسم الحليف القوى الذي كان يمنع بريطانيا من توريط نفسها في حرب في الجزيرة العربية . ومنذ عام ١٨١٩-١٨٢٠م بدأت المرحلة الحاسمة في الصراع بين القواسم و بين البريطانيين.

وفى نهاية عام ١٩١٨م حشدت بريطانية حملة عسكرية ضخمة توجهت إلى الخليج العربي وليس أمامها سوى هدف واحد هو تدمير أسطول القواسم مهما كانت نوعية سفنه و تدمير كل مستودعات القواسم العسكرية و البحرية في موانئ ساحل عمان.

وقد حصلت بريطانيا على تعهد حاكم مسقط سعيد بن سلطان بمرافقة تلك الحملة بنفسه مع فرقة عسكرية من مسقط بهدف القضاء على القواسم نهائيا.

و رغم الاستبسال من القواسم إلا أن التفوق هذه المرة كان واضحا و حاسما من قبل الانجليز ، و بعد خمسة أيام من القتال دخلت القوات البريطانية رأس الخيمة ثم توالت المراكز القاسمية الأخرى السقوط أمام القوات البريطانية و تم أسر القائد القاسمى حسين بن على . و دمرت القوات البريطانية المدن القاسمية حتى أصبحت خرابا.

و أجبر القواسم على قبول المعاهدة التي عرفت بالمعاهدة العامة في يناير ١٨٢٠م . وقد تألفت هذه المعاهدة من إحدى عشر مادة بمقتضاها أصبح لدى البحرية البريطانية حقا مشروعا في السيطرة على تحركات السفن العربية.

و بمقتضى هذه المعاهدة تغير اسم الساحل العماني إلى الساحل المهادن و أدخلته بريطانيا في دائرة نفوذها بشكل مباشر و مطلق .

و بهذه المعاهدة ، وما أعقبها من معاهدات أخرى عقدتها بريطانيا مع الأطراف الأخرى ، انهار النشاط البحري للقواسم و غيرهم من قبائل ساحل عمان .

و بذلك استطاعت بريطانيا أن ترسخ هيمنتها على المنطقة.

وصلت طلائع السعوديين إلى ساحل الخليج العربي في عهد الإمام محمد بن عبد العزيز بن محمد بن سعود في الربع الأخير من القرن الثامن عشر و بدئوا في الاستقرار هناك.

ومن الثابت أن اهتمام أل سعود بساحل الخليج العربي يرتبط بجهود الشيخ محمد بن عبد الوهاب قائد دعوة الإصلاح التي استقطبت الكثير من القبائل إلى جانب أل سعود ، الأمر الذي غير موازين القوى في المنطقة لصالح أل سعود . و تذكر المصادر أن أهل الإحساء كانوا من أوائل المؤيدين للوهابيين وهم الذين بايعوا الأمير سعودا على السمع و الطاعة.

وقد بدا اهتمام أل سعود بساحل الخليج العربي من سهول الإحساء حيث أن حكامها (بنو خالد) قد ناصبوا العداء للدولة السعودية فترة كبيرة ، و قاموا بغزوها عدة مرات ، وهو الأمر الذي حفز آل سعود لنشر الدعوة الإصلاحية في شرق الجزيرة العربية التي كانت تسودها مذاهب لا تتفق مع مبادئ الدعوة الوهابية.

وقد حظيت المنطقة الشرقية باهتمام أل سعود لثروتها الزراعية إضافة إلى أهميتها الإستراتيجية . و بالفعل انتصر أل سعود على قبيلة بني خالد و توسع في الإحساء ثم القطيف و بذلك نجحت الدولة السعودية في الوصول إلى البحر.

وقد أثار توسع أل سعود ، خاصة في المنطقة الشرقية ، القوى الخارجية التي لها مصالح في الخليج و أبرز تلك القوى شركة الهند الشرقية البريطانية و الدولة الفارسية ، خاصة وأن الدولة السعودية الفتية أصبحت ذات حدود مع بقية إمارات الخليج.

وقد شجعت نجاحات أل سعود السابقة و دفعتهم إلى التطلع إلى جبهات الخليج العربي فتمكنوا من الاستيلاء على قطر التي أصبحت جزءا من الدولة السعودية الأولى ، ثم حاولوا بسط نفوذهم على الكويت ، ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك في تلك المرحلة.

وكانت كل من الدولة الفارسية و الدولة العثمانية تنظران إلى الدولة السعودية بعين الحسد على المكاسب الكبيرة و السريعة التي حققتها في المنطقة وهو الأمر الذي دفعهما معا إلى مساندة ودعم حاكم مسقط سلطان بن احمد البوسعيدى و تشجيعه على مناوئة آل سعود ، و أغروه بتقديم المساعدة و الدعم . وقد حاول حاكم مسقط الاتفاق مع أمير مكة ضد أل سعود ، ولكن جاءت هذه المحاولة متأخرة حيث قد انتقلت السيادة إلى مكة الأمر الذي أدى في النهاية الى رضوخ حاكم مسقط إلى الدولة السعودية بعد الاتفاق على قيامه بدفع الجزية السنوية للدولة السعودية.

كما أحدثت انتصارات الدولة السعودية ردود فعل متباينة من قبل القوى الاستعمارية : فالفرس اهتموا باستيلاء السعوديين على الإحساء بسبب انتهاء حكم بنو خالد الذين كانوا مرتبطين بعلاقات حميمة مع الفرس و مذاهبهم الدينية . وقد ظلت الدولة الفارسية في دعمها للسلطان العماني في مواجهة آل سعود حتى تم القضاء على الدولة السعودية الأولى من قبل القائد الألباني محمد على ، ليشكل ذلك شعورا بالطمأنينة لدى الحكومة الفارسية حيث رأت أنه في زوال دولة فتية ، كادت أن تنجح في توحيد منطقة الخليج برمتها ، مصلحة لها.

أما بريطانيا فقد انتهى التنافس بينها و بين فرنسا على عمان في صالحها من خلال الاتفاقيات التي عقدتها مع سلطان مسقط، و التي كانت في حقيقة الأمر موجهة ضد التوسعات السعودية في المنطقة.

و يجب الإشارة هنا إلى الصدام بين الانجليز و القواسم ، الذين ازداد نشاطهم و نفوذهم في الخليج العربي و المعروف أن القواسم كانوا حلفاء لآل سعود . و حاولت بريطانيا أن تتعامل مع القواسم على أنهم مستقلين عن السعوديين ، ولكن كما ذكرنا من قبل أن الانجليز كانوا دائما يضعون في حساباتهم أل سعود في تعاملهم مع القواسم خشية التورط في حرب في المنطقة.

و الحقيقة أن أن بريطانيا كانت مدركة لقوة آل سعود في المنطقة ، وفى نفس الوقت لم تكن ترغب في تنامي هذه القوة . أما الدولة العثمانية فقد كان وصول قوات سعود بن عبد العزيز إلى الإحساء بمثابة الصدمة لحاكم بغداد العثماني ، وقد حدثت بين الطرفين العديد من الصدامات و المعارك انتهت بالصلح ، ثم التوتر حتى سقوط الدولة السعودية الأولى .

الدولة السعودية الثانية :

بعد سقوط الدولة السعودية الأولى استطاع بنو خالد استعادة الإحساء و بسطوا نفوذهم عليها حتى اشتعلت الاشتباكات مرة أخرى بينهم و بين السعوديين حتى جاء الإمام تركي بن عبد الله الذي استطاع الانتصار على بني خالد و ضم الإحساء مرة أخرى إلى الدولة السعودية الثانية ، ثم بايعه أهل القطيف مجددين ولائهم له ثم وفد إليه زعماء القبائل في رأس الخيمة ، و بدأت الدولة السعودية الثانية بمد نفوذها مرة أخرى على عمان و العديد من مناطق الخليج . وقد بذل الإمام فيصل بن تركي جهودا كبيرة للاتفاق مع العديد من حكام إمارات الخليج متخذا سياسة الحلول السلمية تارة و العسكرية تارة أخرى.

ولم تترك بريطانيا الدولة السعودية الثانية تزداد قوة ونفوذ في المنطقة فأخذت تعمل على التدخل في علاقة السعوديين بالحكام العرب في الخليج ، فكانت تستغل الخلافات بين السعوديين و بعض القبائل لتدعم هذا الخلاف مثلما حدث مع حاكم البحرين بوقوفها إلى جانبه و تدعيمه ضد الدولة السعودية.

أما بالنسبة للدولة العثمانية فتشير بعض المصادر إلى أن الإمام فيصل بن تركي وافق على تبعيته للدولة العثمانية بشكل اسمي فقط. و بريطانيا كانت سياستها تجاه الإمام فيصل تسير وفق مصالحها في الخليج العربي.

فقد كانت سياسة بريطانيا تعارض بشدة أى دولة قوية تحاول مد نفوذها في الخليج و ساحل عمان ، وقد حدث ذلك مع الدولة السعودية نفسها حيث كانت تقف بريطانيا ضدها و عملت على الحيلولة دون استيلاء الإمام فيصل على مسقط و صحار و وقفت بجانب حاكم البحرين كما ذكرنا من قبل.

وقد توسعت الدولة السعودية الثانية وضمت واحة البريمى ، و ظل السعوديون الموحدون على براعتهم في استقطاب القبائل العربية في شمال عمان و الساحل المتصالح ، و حاولت بريطانيا تأليب القبائل العربية على آل سعود.

وقد استمرت سياسة الدولة السعودية في محاولة تحقيق التضامن مع القبائل العربية رغم عدم رضا بريطانيا عن هذه السياسة. و برز التفوق السعودي بمد سيطرته على مسقط و شيخ البحرين و البونعيم و القواسم . و واجهت بريطانيا ذلك بعدم الاعتراف بأي سيادة سعودية على مشيخات الخليج العربي. وقد اتسمت الفترة بين ١٨٥٣ - ١٨٦٥م بتركيز الإمام فيصل لسياسته بتثبيت سلطاته في البريمى و الإحساء و مناطق عديدة داخل عمان .

وقد خلف الإمام فيصل ابنه الأمير عبدا لله بن فيصل و الذي تذكر المصادر انه كان يعتبر نفسه من رعايا الإمبراطورية العثمانية.

و عقد الأمير عبد الله بن فيصل سلسلة من الاتفاقيات مع الحكومة البريطانية شملت مسقط و البحرين و الإمارات المتصالحة ، و تركزت هذه الاتفاقات في معظمها على عدم إلحاق الأذى أو الضرر بالرعايا البريطانيين المقيمين في الأراضي الواقعة تحت سيطرة الأمير عبدا لله بن فيصل ، و عدم مهاجمة القبائل المتحالفة مع الحكومة البريطانية.

وقد تدخلت بريطانيا أيضا لتشعل من الخلاف الداخلي بين الأمير عبدا لله بن فيصل و أخيه سعود بن فيصل حتى انقسمت نجد إلى قسمين مما أدى إلى تدخل القوى الاستعمارية وهى بريطانيا و الدولة العثمانية .

الدولة السعودية الثالثة :

بذل الملك عبد العزيز آل سعود جهودا كبيرة في توحيد الجزيرة العربية و نقل مجتمعاتها البدوية و القبلية إلى نظام يتسم بالاستقرار و القوة تحت راية مركزية وطنية قوية على أجزاء الجزيرة و سواحل الخليج العربي . وكما ذكرنا من قبل فان بريطانيا لم تكن راضية عن نشوء الدولة السعودية التي نافستها في الخليج و بسطت سيطرتها عليه خلال المرحلة الأولى و الثانية.

وفى عام ١٩٠١م قام الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل بتجديد الدولة و ظل يواصل بسط نفوذ آل سعود في المنطقة ، فقام المندوب البريطاني في البحرين بتحذيره من أي تدخل في شئون ساحل عمان.

و الواقع أن سياسة عبدا لعزيز آل سعود كانت ترمى إلى إقامة علاقات ود و تفاهم مع البريطانيين من جانب ، و السعي لطرد العثمانيين من الإحساء و القسيم من جانب أخر.

وقد امتدت سيطرة آل عبد العزيز آل سعود على جميع مناطق الربع الخالي حتى جنوب الرياض ، ومن الشرق امتدت حدوده إلى الإحساء . وكان الأتراك يرغبون في إبقاء نجد بعيدة عن آل سعود ، وقاموا أيضا بإشعال الفتن و العداءات الداخلية للسعوديين ، ولكن استطاع الملك عبد العزيز تحقيق عدة انتصارات و تهدئة القبائل و السيطرة على ساحل الخليج العربي بأكمله من الكويت حتى البحرين.

و أمام هذا النجاح للدولة السعودية عقدت كل من انجلترا و الدولة العثمانية اتفاق في ١٩١٣م تنسحب بموجبه تركيا من قطر في رسالة إلى الملك عبد العزيز بعدم التطلع إليها. و تشير المصادر إلى أن الملك عبد العزيز لم يهتم بهذا الاتفاق بسبب انشغاله مع العثمانيين الذين عقد معهم اتفاق عام ١٩١٤م بمقتضاه أعترف عبدا لعزيز آل سعود بالسيادة العثمانية على نجد و الإحساء و بتعينه و الى عثماني على نجد طيلة حياته على أن يرثه في الحكم أولاده.

وقد استمرت الخلافات بين العثمانيين و بين الانجليز بشأن الحدود الشرقية لنجد دون حل حتى بداية الحرب العالمية الأولى.

و تجدر الإشارة هنا إلى أن سياسة بريطانيا تجاه الأمير عبد العزيز آل سعود طوال فترة الحرب العالمية الأولى كانت تسير نحو تحقيق مصالحها بالدرجة الأولى في الخليج العربي ، ولكن الأمير السعودي كان منتبها لذلك. فقد أدرك الأمير عبد العزيز أن السياسة البريطانية تهدف إلى تقسيم الجزيرة العربية فسارع إلى تشديد حصاره على حائل ليفوت الفرصة على بريطانيا التي كانت ترى أنه إذا تمكن عبدا لعزيز من ضم حائل و تلك المناطق التي يسعى إليها فسوف يشكل هذا تهديدا مباشرا لمصالحها في الخليج العربي.

و أخذت بريطانيا على إثارة مشاكل الحدود للدولة السعودية فتم وضع منطقة محايدة بين الكويت و نجد. و تجدر الإشارة هنا إلى أن تخطيط الحدود السعودية الكويتية يعتبر نموذجا يحتذي به في منطقة الخليج ، وقد ساعد على نجاحه العلاقات الأسرية القديمة بين آل سعود و ال صباح التي اتسمت بالوئام و الود.

و يجب الإشارة أيضا إلى اهتمام الملك عبد العزيز بواحة البريمى و وبعد قضائه الفترة ١٩٠٢- ١٩٢٥م في تثبيت دعائم حكمه ، فقد استغل استنجاد أهل البريمى بالأمير عبدا لله بن جلوى أمير الإحساء الذي بعث بقوة إلى البريمى حتى استطاع جمع الزكاة من البريمى حتى١٩٢٩م.

و تجدر الإشارة إلى موقف بريطانيا و الدولة العثمانية من خلال الاتفاقية التي تمت بين تركيا و بريطانيا في ١٩١٣م ، و التي كانت قد تعرضت لحدود نجد الجنوبية ، حيث يمتد خط الحدود طبقا لذلك من جزيرة الردفونية جنوب العقير إلى الربع الخالي ، و يفصل هذا الخط نجد عن شبه جزيرة قطر و الإمارات (المتصالحة) و عجمان و مسقط ، و كانت جميعها خاضعة للنفوذ البريطاني ، غير أن المملكة العربية السعودية لم تعترف بهذه الاتفاقية فيما بعد مستندة إلى أن الاتفاقية نفسها لم تبرم حتى قيام الحرب العالمية الأولى و التي أصبحت فيها الدولة العثمانية خصما لبريطانيا.

وقد نظرت المملكة العربية السعودية أيضا إلى هذا النزاع باعتبارها صاحبة حق في السيادة على المنطقة المتنازع عليها بحكم ولاء القبائل لها فضلا عن الحق التاريخي ، و أن تاريخ الحكم السعودي في عهده الأول و الثاني يشير إلى أنه كان حركة مضادة لحكم العثمانيين ، و بالتالي فان السعودية المعاصرة ليست من ورثة الدولة العثمانية ، وهى – أي السعودية – غير ملزمة بأي اتفاق تكون قد عقدته الدولة العثمانية مع أطراف أخرى على نحو ما سبقت الإشارة إليه سابقا.

وهكذا نجد أن القوى العربية في منطقة الخليج العربي كان لها دور كبير في مقاومة القوى الاستعمارية العاتية في المنطقة ، كما تنوع أسلوب المقاومة من قوى عربية لأخرى ما بين الأسلوب السياسي و الديني و العسكري. وقد ساهمت هذه القوى العربية بشكل كبير في مجرى الإحداث على المستوى المحلى و الأقليمى و أيضا العالمي .

الحياة الاقتصادية في الخليج العربي (عصر اللؤلؤ)

ترجع أهمية الخليج العربي التجارية لموقعه الجغرافي الذي ساهم في التجارة العالمية عبر العصور. فهو يقع في قلب العالم القديم و يسيطر على الطرق البحرية التي تربط بين الشرق و الغرب. و كان الخليج العربي أحد المنافذ البحرية للمحيط الهندي ، مما جعله حلقة وصل بين الهند و الدول التجارية المستوردة لمنتجاتها في الغرب. وقد أدى التجار العرب دور الوسطاء في نقل هذه التجارة ؛ كما كان عرب الخليج يمتازون بالملاحة البحرية و يعملون في الصناعة التقليدية البدائية و الزراعة البسيطة التي كانت تغطي الحاجات المعيشية في تلك الفترة.

استمر العرب في نقل التجارة التقليدية ؛ كما استفادوا من تجارة العبور (الترانزيت) بين المحيط الهندي و البحر المتوسط مروراً بالخليج العربي و البحر الأحمر. و تركزت التجارة في كل من مملكة هرمز العربية و عمان و البحرين و البصرة إلى أن جاء الاستعمار البرتغالي و سيطر على الطرق و المراكز التجارية منذ عام ١٥٠٧ حتى تحرير مسقط سنة ١٦٥٠م .

وقد تحولت جهود عرب الخليج من النشاط التجاري إلى مقاومة الاستعمار البرتغالي طيلة فترة الاحتلال حتى التحرير ، حيث أعقب ذلك الدخول في منافسة مع استعمار آخر جاء أيضاً من أوربا ، ألا وهو الاستعمار الهولندي و البريطاني .

و انتقل النشاط التجاري في الشرق في بداية القرن السابع عشر من البرتغاليين إلى الشركات الأوربية الهولندية و البريطانية دون أن يمر عبر العرب.

ففى القرن السابع عشر عندما انقلب الميزان التجاري الذي كان لا يزال لصالح الشرق فصار لصالح الدول الصناعية ، وذلك لعدة أسباب ، منها : سقوط الأساليب التجارية التقليدية المتمثلة في تجارة المضاربة و " الترانزيت " التي استمرت طوال فترة الوجود البرتغالي الذي تكيف مع تلك الأساليب التجارية العربية ، ولم يدخل البرتغاليون أية أنظمة جديدة في الحركة التجارية التي وصلت إلى حدود التشبع مع بداية القرن السابع عشر.

وفى ذلك الوقت بذل التجار البريطانيون جهوداً و قاموا بمحاولات عديدة للسيطرة على المراكز التجارية في الخليج العربي لتحقيق مصالحهم من جهة و خدمة اقتصاد بلادهم من جهة أخرى. و نظراً لازدياد النشاط التجاري الذي يدفع بالهيمنة السياسية إلى أن تجلب معها القوة العسكرية للحفاظ على تلك المصالح الاقتصادية ، اتجهت دول أوربا إلى استعمار المشرق.

و يمكن القول بأن المصالح الاقتصادية مع ضعف القدرة الدفاعية للشرق دفعت الشركات الأوربية إلى أن تتحول إلى دول استعمارية لحفظ مصالحها في المنطقة.

أما اقتصاد الخليج العربي فقد اعتمد أساساً على البحر في صيد اللؤلؤ و الأسماك و التجارة ، بالإضافة إلى أنشطة اقتصادية أخرى مثل الرعي و الزراعة المحدودة في الواحات و التجارة البرية و الصناعات الحرفية التقليدية مثل صناعة السفن و الجلود و الخيام و احتلت التجارة البحرية مكاناً بارزاً في اقتصاديات المنطقة مع استخراج اللؤلؤ و تجارته .

اعتبر سكان الخليج العربي الصحراويون البحر الرئة التي يتنفسون بها و الأساس الذي يعتمدون عليه كل الاعتماد و يسخرونه لخدمتهم و تذبذب النشاط البحري لسكان المنطقة بين مد و جزر و بين فترات ازدهار و ضعف و انكماش ، نتيجة لتدخل الاستعمار البريطاني و مارس سكان المنطقة عدة أنشطة بحرية ، أهمها : **١ -** بناء السفن **٢ -** صيد اللؤلؤ **٣ -** صيد الأسماك **٤ -** النقل البحري و النشاط التجاري .

اللؤلؤ :

عُرفت تجارة اللؤلؤ منذ القدم في الخليج العربي ، و كانت من أول النشاطات الاقتصادية التي كانت مبنية أثناء الثورة التجارية الأولى على أسس شبه رأسمالية . ولكن الانحسار الاقتصادي المتمثل في انهيار تجارة المضاربة التقليدية و ازدياد الطلب العالمي على اللؤلؤ و خاصة في أوربا أديا معا إلى بروز القيمة العالية لهذه السلعة.

و تؤكد المصادر التاريخية و الجغرافية التي اهتمت بأمور الملاحة في الخليج بما أن حوض الخليج العربي يعتبر أنسب بيئة لتكون و نمو أصداف اللؤلؤ عن بقية البحار و الخلجان في الجزء المائي من الكرة الأرضية .

وهذا يرجع إلى عدة أسباب و عوامل أهمها :

التكوين الجيولوجي لقاع الخليج العربي (إذ أن قاع هذا الخليج يمتاز بصفاء مائه و نعومة رماله و شده بياضها مما يجعلها تغطى التكوينات و الشعاب المرجانية و تطغى على المواد الطينية التي تشكل الطبقة العازلة لتكون اللؤلؤ أو اختفائها تماما) .

دفء الماء (إذ أن موقع الخليج العربي جغرافياً في المنطقة القارية فهي ليست بالحارة ولا بالباردة و لكنها منطقة معتدلة تمتاز بدفء مياهها طوال السنة ، إذ أن مياه البحار الدافئة تعتبر من العوامل المساعدة على تكون و نمو اللؤلؤ و تواجد الأصداف الحاملة له) .

أيضا قلة العمق المياه في الخليج العربي (إذ أنه من المعروف أن أصداف اللؤلؤ غالباً ما تكون عائمة فوق رمال القاع و ليست ملتصقة به ، فكلما كان عمق البحر في مستوى ليس بالمرتفع كان مدعاة لأن يكون البيئة المناسبة لتواجد أصداف اللؤلؤ)

هذه الميزات في مياه الخليج العربي جعلته أكثر المناطق المائية في العالم خصوبة و أنسبها بيئة لتكون الشطوط و المغاصات التي تتجمع فيها أصداف اللؤلؤ ، بل و أن الأماكن الأفقية من مياه الخليج و التي تتوافر فيها تلك الميزات تكون هي أكثر المواقع في مياه الخليج و فرة و سهولة لصيد اللؤلؤ .

و غالباً ما تكون هذه المناطق في الجانب الغربي من خوض هذا الخليج ، إذ أن الخليج العربي يمتد بين ضفتين ، إحداهما شرقية تمثلها السواحل الإيرانية ، و الثانية غربية تمثلها دول الخليج العربية الواقعة عليها .

لهذه الأسباب كما قلنا يجمع المشتغلون بتجارة اللؤلؤ على أن أجود أنواع اللؤلؤ هو الذي يأتي من بحر الخليج العربي ، علماً بأن هناك مغاصات و مناطق توجد بها أصداف اللؤلؤ القريبة على حوض الخليج العربي مثل المواقع الموجودة في البحر الأحمر و بحر عمان و الجزر المحيطة بالهند و شرق أفريقيا ، إلا أنه في أوج ازدهار تجارة اللؤلؤ كان التفضيل للؤلؤ الخليج المرغوب لدى هؤلاء التجار.

ولهذا السبب أيضاً اتجهت إلى الخليج أنظار الغزاة بدافع الطمع و احتكار تجارة اللؤلؤ ، التي هي عصب الحياة قبل اكتشاف البترول ، ليس فقط لأهل الخليج ولكن للملاحة العالمية و التجارة الدولية قديماً و حديثاً .

و يمتد شط اللؤلؤ فى الخليج العربى من الشارقة إلى البحرين مروراً بجزيرة حالول ، وهو عبارة عن رصيف مرتفع في قاع الخليج يكون فيه شط اللؤلؤ الكبير أمام سواحل قطر و البحرين و أبو ظبي و الأعماق هنا تتراوح بين ١٨ - ٢٧ متراً ، وفي بعض الأماكن تصل إلى ٣٥ و ٤٠ متراً.

مراكز تجارة اللؤلؤ في الخليج العربي :

البحرين : كانت تعتبر من أهم مراكز تجارة اللؤلؤ و أكبرها في منطقة الخليج العربي قاطبة ، لكثرة إنتاجها من جهة و احتلالها للمركز الأول في التصدير من جهة أخرى .

جزيرة دلما : تأتي الثانية في الأهمية بعد جزيرة البحرين . ومما عزز هذه المكانة تشديد الجمارك الإيرانية على تجارة اللؤلؤ بعد احتلالها لإمارة لنجة التابعة للقواسم على الساحل الشرقي للخليج العربي . وكان معظم السكان في الساحل الشرقي من الخليج العربي يأتون للغوص في الهيرات المحيطة بجزيرة " دلما " التابعة لإمارة أبو ظبي .

الكويت : احتلت الكويت مكاناً بارزاً في تجارة اللؤلؤ على الرغم من إسهامها المحدود في التصدير . و شهدت هذه الحرفة ازدهاراً إبان عهد الشيخ مبارك الصباح ، ولا سيما في عام ١٩١٢. ففي ذلك العام ، بلغ عدد سفن الغوص ٨١٢ سفينة حيث بلغ الدخل نحو ستة ملايين روبية هندية . ولذلك سمي ذلك العام بعام الطفحة .

وقد شكل اللؤلؤ أهمية خاصة في صادرات الخليج العربي و احتل مركزاً مرموقاً بين الصادرات الأخرى فيما عدا سلطنة عمان ، وقد بلغت قيمة صادرات اللؤلؤ نحو ٧٥ % من جملة الصادرات في عام ١٩٠٦م . و يمكن القول بأن عائدات تجارة اللؤلؤ كانت تعتبر ركيزة أساسية في اقتصاديات مشيخات الخليج العربي قبل ظهور البترول ؛ و تفوق عائدات هذه التجارة ما عداها من عائدات الأنشطة البحرية الأخرى . وقد منعت بريطانيا عام ١٩٠٦ شيوخ إمارات ساحل عمان من تقديم أية امتيازات لصيد اللؤلؤ للشركات الفرنسية و الألمانية ، وذلك خوفاً من تغلغل نفوذ هاتين الدولتين و ضياع النفوذ البريطاني وليس خوفاً على مصالح سكان ساحل عمان و نشاطهم التجاري .

أدت تجارة اللؤلؤ دوراً أساسياً بجانب دورها الاقتصادي . و يرجع ذلك إلى أنها مبنية على المبدأ التنظيمي البنائي المسمى بـ « الزبانة » ، وهي علاقة المعزب (رئيس العمل و صاحبه) بالزبون. وهذا النوع من العلاقة بينهما أريد به ان يبقى خفيا غير ظاهر للعيان و يتلخص ذلك في أن علاقة البحارة – وهم : الغواص و السيب و الرديب و التباب و النوخذة وهو قائد السفينة و الطواشي وهو تاجر اللؤلؤ - هي دين مستديم في شكل قروض يتلقاها البحارة من التاجر .

أما كيف يعمل هذا التنظيم ، فإنه في أغلب الحالات يبدأ بالسفينة وهي مقدم نقدي في هيئة دين يدفعه التاجر أو النوخذة (إذا كان مالكاً للسفينة) للبحارة عند بداية موسم الغوص لتغطية مصاريف الأسرة أثناء فترة غيابه في موسم الغوص و التي تستمر عادة من شهر يونيو إلى أكتوبر و يحصل البحارة - وهم العاملون على سفينة الغوص التي ذكرناها سابقاً - في نهاية موسم الغوص على حصتهم من بيع اللؤلؤ ، و تسمى " تسكام ". ولما كان أغلب عمل الغواصين موسميّاً ، فإنهم يتعطلون ستة أشهر .

و لذلك يحصلون من التاجر نفسه أو النوخذة على مبلغ آخر في هيئة قرض جديد يسمى " خرجية " أو " مصرف جيب " مقابل العمل لدى التاجر نفسه أو النوخذة في الموسم المقبل. و تسجل جميع هذه الديون في دفتر حساب التاجر . و إن معظم البحارة أي أكثر من ٩٠ % من الحالات لم يكونوا يكسبون وراء إسهامهم في صيد اللؤلؤ ما يكفي لتسديد هذه الديون للتاجر أو النوخذة ، فكأنما قد كتب عليهم العمل للتاجر نفسه أو النوخذة إلى ما تبقى من حياتهم المهنية أو إلى حين توافر ما تسد به هذه الديون .

وهذا النوع من الدين لا يلغى بموت البحارة بل يورثه لأبنائه مع الفوائد التي قد تترتب على التأخير في السداد . وكان بعض التجار يزورون في دفاتر حساباتهم للإبقاء عل البحارة الجيدين في دين دائم لهم ؛ كما أن بعض النواخذة كان يصر على الزواج بأرملة الغواص لسداد الدين ، و بذلك يكسب أبناءَها بحارةً في سفينته .

ولكن يبدو أن هذه حالات خاصة و محدودة جداً و ناجمة عن نوعية التاجر و النوخذة و أخلاقهما. محصلة هذا النوع من الترتيب البنائي لتجارة اللؤلؤ و علاقة المعزب بالزبون تنشأ بين البحارة من جهة و التاجر و النوخذة من جهة أخرى و تتّسم بنوع من الولاء السياسي لأسرة التاجر مقابل رعاية أسرة التاجر للبحارة الذين يتعاملون معها و لأسرهم .

و كان هذا الولاء بمثابة طابع الرضا الطوعي بسلطة التجار و النوخذة الذي يرمى بتأثيره القوى على العلاقة بين المعزب و الزبون على الرغم من وضوح تعارض المصالح الطبقية بينهما. وقد أدى هذا الولاء دوراً مهماً في البيئة التجارية حتى بعد ظهور البترول و مجيء الدولة الحديثة و بالرغم من هذا التنظيم البنائي فقد كان الغوص على اللؤلؤ حرفة هامة مارسها قطاع كبير من سكان المنطقة ، لأن تجارة اللؤلؤ الطبيعي المستخرج من الخليج العربي كانت رائجة و تدر أرباحاً طائلة .

وهى أمور تعكس بعض الجوانب الاجتماعية في مجتمع صيد و تجارة اللؤلؤ في الخليج العربي في تلك الفترة ، كما تعكس أثر النشاط و الازدهار الاقتصادي لتجارة اللؤلؤ في السكان الأصليين من القبائل العربية.

ظهرت الحاجة إلى قيام اتحاد تكاملي بين دول الخليج يهدف إلى توحيد القرار في السياسة الخارجية و التعاون الاقتصادي و الدفاعي بين دوله ومن ثم إبراز شخصية خليجية مستقلة على الساحة الدولية منذ إعلان الحكومة البريطانية الانسحاب من بعض دول الخليج العربية في يناير ١٩٦٨م . و بدأت في ذلك الوقت توجهات عديدة تتطلع إلى المنطقة كل منها تتهيأ لملء الفراغ المحتمل حدوثه . وفي الوقت نفسه كانت هناك جهود تتبلور لقيام اتحاد بين حكام الإمارات في الساحل الخليجي من خلال اجتماع دبي في ٢٥ فبراير ١٩٦٨م .

وقد كان للملكة العربية السعودية دور بارز فى هذا الاتجاه حيث صدر بيان مشترك في الرياض بتاريخ ٣ أبريل ١٩٦٨م في ختام زيارة الشيخ أحمد بن علي آل ثاني حاكم قطر في ذلك الوقت للمملكة ، و ورد في هذا البيان أن الاتحاد الذي قام بين إمارات الخليج من شأنه تأمين استقرار المنطقة و نمو تقدمها و ازدهارها . وقد أبدى الملك فيصل بن عبدالعزيز استعداد حكومة المملكة العربية السعودية لزيادة التعاون الاقتصادي و الفني مع دول الاتحاد بهدف إسعاد شعوبها و رفاهيتها .

و خلال الفترة التالية تبلورت عدة ظروف دولية و إقليمية دعمت فكرة قيام إطار للتعاون بين دول الخليج مجتمعة . فعلى المستوى الدولي كان هناك التنافس بين القطبين الرئيسين في النظام الدولي على النفوذ في منطقة الخليج ، وقد ظهر هذا التنافس جليا بعد الغزو السوفيتي لأفغانستان و عدم تردد الاتحاد السوفيتي في الكشف عن العلاقة بين الغزو و بين التطلع إلى دور في منطقة الخليج حيث أعلن بريجينيف ما سمي (بمبدأ بريجينيف) في ديسمبر ١٩٧٩م .

و كانت مبادرة بريجينيف انعكاسا لرغبة الاتحاد السوفيتي (سابقا) في لعب دور في المنطقة بحيث لم يخف بذلك العلاقة بين غزو أفغانستان و منطقة الخليج ، هذا في الوقت الذي بدأت فيه مرحلة من الحرب الباردة الجديدة بين الاتحاد السوفيتي (سابقا) و الولايات المتحدة بعد تولي الرئيس ريجان السلطة في انتخابات ١٩٨٠م و انتهاجه خطا متشددا تجاه الاتحاد السوفيتي ، و وضعه أمن الخليج في مقدمة أولوياته في السياسة العربية .

و على الصعيد الإقليمي اشتعلت الحرب العراقية الإيرانية و اتضح اشتداد الحاجة إلى قيام دول الخليج بمهام أمنها القومي لمواجهة التحديات الإقليمية من ناحية و البعد عن التدخل للقوى الأجنبية و إبعاد المنطقة عن الصراع العالمي من جهة أخرى. هذا في الوقت الذي رغبت فيه الدول الخليجية الست في لعب دور مؤثر في المنطقة العربية بما يتناسب مع إمكاناتها الاقتصادية و العسكرية .

وقد نشطت المملكة العربية السعودية في الدعوة إلى قيام تعاون أمني للدول الخليجية و لذلك قام صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز وزير الداخلية بجولة في كل من الكويت و دولة الإمارات العربية المتحدة و قطر و عمان و البحرين في نوفمبر ١٩٨٠م لبحث التعاون في دعم الأمن الخليجي استكمالا لنتائج مؤتمر وزراء الداخلية العرب الذي انعقد في الطائف في أغسطس ١٩٨٠م و الذي اتفق فيه على ضرورة تعزيز التنسيق بين أجهزة الأمن العربية.

و جدير بالذكر هنا أن المملكة كانت أكثر الدول الخليجية حماسا لتوحيد موقف دول الخليج من التحديات الماثلة أمامها. و ترجع محاولات المملكة العديدة من أجل تشكيل تجمع عربي خليجي لمواجهة التحديات الإقليمية إلى عام ١٩٧١م بعد الانسحاب البريطاني من الخليج العربي . حيث بدأت المملكة بتوقيع اتفاقيات ثنائية عام ١٩٧٦ خلال زيارة صاحب السمو الملكى الأمير نايف بن عبدالعزيز لجميع الأقطار الخليجية ، كما أكدت المملكة خلال تلك الفترة على لسان خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز (حين كان وليا للعهد آنذاك) على ضرورة منع التدخل الأجنبي في المنطقة و إخلائها من القواعد الأجنبية مؤكدا حرص الدول الخليجية على سيادتها و استقلالها .

وفي شهر أغسطس عام ١٩٨٠م تقدمت المملكة من خلال القمة الإسلامية بمدينة الطائف بمشروع يقضي بإنشاء تجمع خليجي و توحيد مصادر السلاح إلى دول الخليج حتى يصبح التدريب و الاستيعاب سهلا ، كما طالب المشروع بإقامة تعاون واسع النطاق بين قوات الأمن الداخلي في الدول المعنية بدلا من إنشاء حلف عسكري و استبعاد الأحلاف العسكرية مع الدول الأجنبية و اشتراك القوات المسلحة النظامية و تأكيد سيادة كل دولة و تسهيل المحافظة على القانون و النظام الداخلي فيها و تشجيع دول الخليج على تحقيق الاستقلال الذاتي العسكري .

و إزاء التطورات التي شهدتها المنطقة اتسع تصور المملكة لمفهوم الأمن في الخليج و تبلور ذلك فيما قدمه سمو الأمير نايف بن عبدالعزيز من مشروع أسماه (تحقيق الأمن الجماعي في الخليج) و الذي كشف عن تفاصيله أثناء زيارة سموه للكويت و باكستان في نهاية عام ١٩٨٠م . و قدم هذا المشروع تصور اللتعاون المشترك لتحقيق الأمن الداخلي في دول المجلس إلى جانب التنسيق الأمني بين هذه الدول و قدم إلى جانب هذا المشروع مشروع كويتي و آخر عماني .

أما المشروع الكويتي فقد طالب بإقامة تعاون مشترك في المجالات الاقتصادية و النفطية و الصناعية و الثقافية بما يؤدي في النهاية إلى إقامة اتحاد إقليمي بين دول الخليج ، كما دعا المشروع العماني إلى إنشاء قوة بحرية مشتركة لحماية مضيق هرمز و الدفاع عنه بوصفه شريان الحياة و الحضارة لدول الخليج وفي ٤ فبراير ١٩٨١م و خلال مؤتمر الرياض بين وزراء الخارجية للدول الخليجية الست و بعد مناقشات عديدة بين الدول الخليجية استقر الرأي على مشروع جاء في غالبيته متوافقا مع المشروع السعودي و أقره الوزراء في ختام أعمال هذا المؤتمر على وثيقة إعلان إنشاء مجلس التعاون الخليجي .

إنشاء المجلس :

وفي ٢١ رجب ١٤٠١هـ الموافق ٢٥ مايو ١٩٨١م توصل قادة كل من المملكة العربية السعودية و مملكة البحرين و الإمارات العربية المتحدة و سلطنة عمان و دولة قطر و دولة الكويت في اجتماع عقد في أبوظبي إلى صيغة تعاونية تضم الدول الست تهدف إلى تحقيق التنسيق و التكامل و الترابط بين دولهم في جميع الميادين وصولاً إلى وحدتها ، وفق ما نص عليه النظام الأساسي للمجلس في مادته الرابعة التي أكدت أيضا على تعميق و توثيق الروابط و الصلات و أوجه التعاون بين مواطني دول المجلس .

و جاءت المنطلقات واضحة في ديباجة النظام الأساسي التي شددت على ما يربط بين الدول الست من علاقات خاصة ، وسمات مشتركة و أنظمة متشابهة أساسها العقيدة الإسلامية و إيمان بالمصير المشترك و وحدة الهدف و ان التعاون فيما بينها إنما يخدم الأهداف السامية للأمة العربية (النظام الأساسي) و أوضح الإعلان أن إنشاء مجلس التعاون الخليجي جاء تمشيا مع أهداف الوحدة العربية وفي نطاق ميثاق جامعة الدول العربية و اتخذ المجلس الجديد الرياض مقرا له.

وفي ٢٤ – ٢٥ فبراير ١٩٨١م و تنفيذا لقرار وزراء الخارجية اجتمعت لجنة الخبراء بالرياض لوضع نظام متكامل لما اتفق عليه بشأن مجلس التعاون الخليجي و مناقشة مشروع النظام الأساسي للمجلس و بعد عدة اجتماعات تم التحضير لاجتماعات القمة الخليجية في أبو ظبي يومي ٢٥ – ٢٦ مايو ١٩٨١م حيث أعلن في الجلسة الافتتاحية التوقيع على النظام الأساسي لمجلس التعاون الخليجي ، وهكذا لعبت المملكة منذ وقت مبكر دورا بارزا في إيجاد صيغة للوحدة الخليجية.

النظام الأساسي :

وحدد النظام الأساسي لمجلس التعاون أهداف المجلس في تحقيق التنسيق و التكامل و الترابط بين الدول الأعضاء في جميع الميادين وصولا إلى وحدتها و توثيق الروابط بين شعوبها ، و وضع أنظمة متماثلة في مختلف الميادين الاقتصادية و المالية و التجارية و الجمارك و المواصلات ، وفي الشؤون التعليمية و الثقافية و الاجتماعية والصحية و الإعلامية و السياحية و التشريعية و الإدارية و دفع عجلة التقدم العلمي و التقني في مجالات الصناعة و التعدين و الزراعة و الثروات المائية و الحيوانية و إنشاء مراكز بحوث علمية و إقامة مشاريع مشتركة و تشجيع تعاون القطاع الخاص .

الهيكل التنظيمي :

المجلس الأعلى :

هو السلطة العليا لمجلس التعاون ، و يتكون من رؤساء الدول الأعضاء ، و رئاسته دورية حسب الترتيب الهجائي لأسماء الدول و يجتمع في دورة عادية كل سنة و يعين الأمين العام و يجوز عقد دورات استثنائية بناء على دعوة أي دولة عضو و تأييد عضو آخر . و يعتبر انعقاد المجلس صحيحا إذا حضر ثلثا الأعضاء الذين يتمتع كل منهم بصوت واحد ، و تصدر قراراته في المسائل الموضوعية بإجماع الدول الأعضاء الحاضرة المشتركة في التصويت وفي المسائل الإجرائية بالأغلبية .

المجلس الوزاري :

يتكون المجلس الوزاري من وزراء خارجية الدول الأعضاء أو من ينوب عنهم من الوزراء ، و تكون رئاسته للدولة التي تولت رئاسة الدورة العادية الأخيرة للمجلس الأعلى ، و يعقد المجلس اجتماعاته مرة كل ثلاثة أشهر و يجوز له عقد دورات استثنائية بناء على دعوة أي من الأعضاء و تأييد عضو آخر ، و يعتبر انعقاده صحيحا إذا حضر ثلثا الدول الأعضاء .

و تشمل اختصاصات المجلس الوزاري اقتراح السياسات و وضع التوصيات الهادفة لتطوير التعاون بين الدول الأعضاء و العمل على تشجيع وتنسيق الأنشطة القائمة بين الدول الأعضاء في مختلف المجالات. و تحال القرارات المتخذة في هذا الشأن إلى المجلس الوزاري الذي يرفع منها بتوصية إلى المجلس الأعلى ما يتطلب موافقته . كما يضطلع المجلس بمهمة التهيئة لاجتماعات المجلس الأعلى و إعداد جدول أعماله ، و تماثل إجراءات التصويت في المجلس الوزاري نظيرتها في المجلس الأعلى (النظام الأساسي) .

الأمانة العامة :

تتلخص اختصاصات الأمانة العامة في إعداد الدراسة الخاصة بالتعاون و التنسيق و الخطط و البرامج المتكاملة للعمل المشترك و إعداد تقارير دورية عن أعمال المجلس و متابعة تنفيذ القرارات و إعداد التقارير و الدراسات التي يطلبها المجلس الأعلى او المجلس الوزاري و التحضير للاجتماعات و إعداد جدول أعمال المجلس الوزاري و مشروعات القرارات و غير ذلك من المهام (النظام الأساسي) .

و يتالف الجهاز الإداري للأمانة العامة من الأتي :

أ- أمين عام يعينه المجلس الأعلى لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد مرة واحدة .
ب- خمسة أمناء مساعدين للشؤون السياسية و الاقتصادية و العسكرية و الأمنية و الإنسان و البيئة و رئيس بعثة مجلس التعاون لدول الخليج العربي في بروكسل و يعينهم المجلس الوزاري بترشيح من الأمين العام لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد
ج- مدراء عامو قطاعات الأمانة العامة و بقية الموظفين و يتم تعيينهم من قبل الأمين العام .

يتمثل التنظيم الإداري للأمانة العامة في عدد من القطاعات المتخصصة و المساندة هي الشؤون السياسية و الشؤون الاقتصادية و الشؤون العسكرية ، الشؤون الأمنية و شؤون الإنسان و البيئة و الشؤون القانونية و الشؤون المالية و الإدارية و مكتب براءات الاختراع و مركز المعلومات. يضاف إلى ذلك ممثلية (مكتب) مجلس التعاون لدى الإتحاد الأوروبي في بروكسل و المكتب الفني للاتصالات بمملكة البحرين و مكتب الهيئة الاستشارية بسلطنة عمان .

و بلا شك قد أسهم التجانس بين دول المجلس في تمكين مجلس التعاون من تبني مواقف موحدة تجاه القضايا السياسية ، و سياسات ترتكز على مبادئ حسن الجوار وعدم التدخل في الشئون الداخلية و احترام سيادة كل دولة على أراضيها و مواردها و اعتماد مبدأ الحوار السلمي وسيلة لفض المنازعات الأمر الذي أعطى مجلس التعاون قدراً كبيراً من المصداقية ، كمنظمة دولية فاعلة في هذه المنطقة الحيوية للعالم بأسره .

مجلس التعاون الخليجي الأوضاع الاقتصادية و التعاون المشترك

قبل بداية الحديث عن الأوضاع الاقتصادية يجدر القول أن دول مجلس التعاون الخليجى ترى أن تحقيق الأمن الخليجي من وجهة نظرهم يتم من خلال تحقيق تعاون أوسع على المستويات المالية و الاقتصادية و التجارية. و لذلك فقد خرج مؤتمر القمة الأول بوثيقتين هامتين أثرتا تأثيرا كبيرا على التطورات السياسية في المنطقة ، و الوثيقتان تتضمنان :

حتمية التكامل الاقتصادي : وذلك بوضع الأسس لإقامة المؤسسات و إنشاء الأجهزة المؤدية إلى جعل ذلك التكامل و الاندماج الاجتماعي حقيقة ماثلة للعيان ، و أن تشابك المصالح الاقتصادية و اليومية سيجعل الخليج إطارا موحدا يمارس فيه المواطن كامل الحرية في النشاطات التجارية بصرف النظر عن الجنسية التي ينتمي إليها. ولذلك وافق المجلس الأعلى في دورته الأولى على تشكيل خمس لجان تعمل من أجل تعزيز التعاون و وضع تفاصيل مواقف مشتركة بشأن السياسة النفطية و التخطيط الاقتصادي و الاجتماعي و الشؤون المالية و الاقتصادية و التجارية و الصناعية و الخدمات الاجتماعية و الثقافية .

مبادئ سياسة المجلس الخارجية : و تشمل المبادئ التي يتمسك بها المجلس في ممارسة سياسته الخارجية حيث جاء في البيان الختامي : (بأن أمن المنطقة واستقرارها إنما هو مسؤولية شعوبها و دولها ، و أن هذا المجلس إنما يعبر عن إرادة هذه الدول وحقها في الدفاع عن أمنها و صيانة استقلالها ، كما أكدوا رفضهم المطلق لأي تدخل أجنبي في المنطقة مهما كان مصدره و طالب قادة دول المجلس بضرورة إبعاد المنطقة بأكملها عن الصراعات الدولية و خاصة تواجد الأساطيل العسكرية و القواعد الأجنبية لما فيه مصلحتها و مصلحة العالم).

أهم الإنجازات في المجالات الاقتصادية :

يشكل التنسيق و التكامل و الترابط الاقتصادي بين الدول الأعضاء أحد الأهداف الأساسيـــة لمجلس التعاون وفقاً لما ورد في النظام الأساسي للمجلس ، ومن ضمن الأهداف المنصوص عليها وضع أنظمة متماثلة في مختلف الميادين بما في ذلك الشئون الاقتصادية و المالية و الشئون التجارية و الجمارك و المواصلات و الاتصالات و الطاقة و دفع عملية التقدم العلمي و التقني في مجالات الصناعة و التعدين و الثروات المائية . و حققت دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية العديد من الإنجازات في مختلف المجالات الاقتصادية خلال مسيرة العمل المشترك .

ففي مجال التعاون المالي و النقدي ركز المجلس على تجسيد المواطنة الخليجية في كافة الأنشطة التجارية و العقارية و الصناعية و الاستثمارية و العمل وفي المجال النقدي ، يجرى العمل حالياً على تطبيق الجدول الزمني الذي سبق أن أقره المجلس الأعلى في قمة مسقط (ديسمبر ٢٠٠١م) لتحقيق متطلبات الاتحاد النقدي و تحقيق مستوى عال من التقارب بين الدول الأعضاء في كافة السياسات الاقتصادية المالية و النقدية و التشريعات المصرفية .

وفي ضوء ذلك تم في ديسمبر ٢٠٠٥م موافقة المجلس الأعلى على معايير التقارب الاقتصادي اللازمة لقيام الاتحاد النقدي ، بالإضافة إلى الانتهاء من مسودة التشريعات و الأنظمة الخاصة بالسلطة النقدية المشتركة التي ستتولى مهام إصدار العملة و وضع و إدارة السياسة النقدية الموحدة. و يتوقع أن تستكمل اللجان المعنية تفاصيل ذلك و الإعداد الفني للمتطلبات خلال الفترة القادمة ، وذلك تمهيداً لقيام الاتحاد النقدي لدول المجلس و إصدار العملة الموحدة .

وفي مجال التعاون الجمركي ، اعتمد المجلس الأعلى في دورته الثانية و العشرين (ديسمبر ٢٠٠١م) النظام الموحد للجمارك لدول مجلس التعاون و لائحته التنفيذية و مذكرته الإيضاحية وبدء في تطبيقه اعتباراً من يناير ٢٠٠٢م . كما قرر المجلس الأعلى في دورته الثالثة و العشرين (ديسمبر ٢٠٠٢م) بدء العمل بالإتحاد الجمركي لدول مجلس التعاون تجاه العالم الخارجي اعتباراً من الأول من يناير ٢٠٠٣م ، و العمل بمتطلبات نقطة الدخول الواحدة (بحيث يقوم أول منفذ جمركي لدول المجلس تجاه العالم الخارجي بإجراء المعاينة و التفتيش على البضائع الواردة لأي من الدول الأعضاء بالمجلس ، و التأكد من مطابقتها للمستندات المطلوبة و خلوها من الممنوعات و استيفاء الرسوم الجمركية المستحقة عليها ، بحيث تنتقل السلعة فيما بعد بين الدول الأعضاء بحرية .

و تم تحديد تعرفة جمركية موحدة بواقع ٥% على جميع السلع الأجنبية المستوردة من خارج الاتحاد الجمركي مع إعفاء (٤١٧) سلعة أجنبية من الرسوم الجمركية كالسلع الغذائية الضرورية و بعض المنتجات الصحية و مستلزمات المستشفيات و المدارس و كذلك الإعفاءات الواردة في قانون الجمارك الموحد لدول المجلس كالإعفاءات الحكومية و الإعفاءات الدبلوماسية وفي مطلع العام ٢٠٠٨ ، تم الاعلان عن قيام السوق الخليجية المشتركة ، وهي تنطوي على تحرير عناصر الانتاج و حركة الاستثمار أمام مواطني دول المجلس في مجالات التنقل و الإقامة و العمل في القطاعات الحكومية و الأهلية و التأمين الاجتماعي و التقاعد و ممارسة المهن و الحرف و مزاولة كل الأنشطة الاقتصادية و الاستثمارية و الخدمية و تملّك العقار و تنقل رؤوس الأموال و البضائع و الخدمات و المعاملة الضريبية و تداول الأسهم و شراءها و تأسيس الشركات و التعليم و الصحة و الخدمات الاجتماعية .

وفي مجال التعاون التجاري و الصناعي ، اهتمت دول مجلس التعاون و منذ إنشاء المجلس بالمجال التجاري و عملت على تعزيزه و تطويره بما يعود بالنفع على دول و مواطني دول المجلس فقد قرر المجلس الأعلى لمجلس التعاون في دورته السابعة و التي عقدت في أبو ظبي ١٩٨٦م ، بالسماح لمواطني الدول الأعضاء بمزاولة تجارة التجزئة في أي دولة عضو و مساواتهم بمواطني الدولة اعتبارا من أول مارس ١٩٨٧م ، وكذلك بالسماح لمواطني الدول الأعضاء بمزاولة تجارة الجملة في أي دولة عضو و مساواتهم بمواطني الدولة اعتبارا من أول مارس ١٩٩٠م .

كما قرر المجلس الأعلى لمجلس التعاون في دورته التاسعة و التي عقدت بمملكة البحرين السماح لمواطني دول المجلس بتملك أسهم الشركات المساهمة بالدول الأعضاء ، وأ يضا قرر المجلس الأعلى في دورته الثالثة و العشرين المنعقدة في الدوحة ٢٠٠٢م بأن يتم تطبيق المساواة التامة في المعاملة بين مواطني دول المجلس في مجال تملك و تداول الأسهم وتأسيس الشركات و إزالة القيود التي قد تمنع من ذلك ، وذلك في موعد أقصاه نهاية عام ٢٠٠٣م ، كذلك تم السماح للمؤسسات و الوحدات الإنتاجية في دول المجلس بفتح مكاتب لها للتمثيل التجاري في أي عضو بناءا على قرار المجلس الأعلى لمجلس التعاون في دورته الثانية عشر التي عقدت بدولة الكويت .

و وافق المجلس الأعلى لمجلس التعاون في دورته الرابعة عشرة التي عقدت بالمملكة العربية السعودية عام ١٩٩٣م على إقامة مركز التحكيم التجاري لدول المجلس وعلى نظام المركز ، وقد أقيم المركز في مملكة البحرين و أعلن عن قيامه رسميا في مارس ١٩٩٥م . وقد نظر المركز منذ إنشائه بعدد من القضايا و قام المركز بتوقيع اتفاقيات للتعاون الثنائي مع العديد من هيئات التحكيم الدولية و الإقليمية ، كما قام بتنظيم العديد من الندوات و الدورات و ورش العمل في كافة دول المجلس تغطي مواضيع شتى تتعلق بالتحكيم و بالموضوعات التجارية ذات الصلة و ذلك لخلق و نشر الفكر القانوني التحكيمي .

كما اعتمد المجلس الأعلى في دورته التاسعة عشرة المنعقدة في دولة الإمارات العربية المتحدة عام ١٩٩٨م النظام الأساسي لهيئة المحاسبة و المراجعة لدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ، وقد بدأت الهيئة في ممارسة نشاطها بعد إنهاء مرحلة التأسيس . وقد أنشئت هيئة التقييس بموجب قرار المجلس الأعلى لمجلس التعاون في دورته الثالثة و العشرين التي عقدت في الدوحة ، وقام مجلس إدارة الهيئة باستكمال متطلبات إنشاء الهيئة ، حيث بدأت الهيئة في ممارسة أعمالها في مقرها الجديد بمدينة الرياض .

وفي مجال التعاون الصناعي ، خطت دول مجلس التعاون خطوات كبيرة في مجال التعاون و التنسيق الصناعي فيما بينها ، و عملت على تدعيم كل ما يؤدي إلى تعزز استمرار التنمية الصناعية بدول المجلس ، حيث قرر المجلس الأعلى لمجلس التعاون في دورته السادسة التي عقدت في مسقط ١٩٨٥م الموافقة على الإستراتيجية الموحدة للتنمية الصناعية ، وفي دورته التاسعة عشرة المنعقدة في أبو ظبي ١٩٩٨م اقر المجلس الصيغة المعدلة لهذه الإستراتيجية .

كما اعتمد المجلس الأعلى في دورته السابعة المنعقدة في أبوظبي ١٩٨٦م القواعد الموحدة لإعطاء الأولوية في المشتريات الحكومية للمنتجات الوطنية و المنتجات ذات المنشأ الوطني بدول المجلس ، و جاري العمل حاليا على اعتماد مشروع قواعد معدلة تنسجم مع مرحلة الاتحاد الجمركي لدول المجلس . كما قرر المجلس الأعلى في نفس الدورة السماح للمستثمرين من مواطني دول المجلس بالحصول على قروض من بنوك و صناديق التنمية الصناعية بالدول الأعضاء و مساواتهم بالمستثمر الوطني من حيث الأهلية وفقا للضوابط المعدة بهذا الشأن .

وفيما يتعلق بحماية المنتجات الوطنية بدول المجلس اعتمد المجلس الأعلى في دورته التاسعة المنعقدة بالمنامة عام ١٩٨٨ م النظام الموحد لحماية المنتجات الصناعية ذات المنشأ الوطني بدول المجلس ، كما وافق المجلس الأعلى في دورته الثالثة و العشرين المنعقدة بالدوحة ٢٠٠٢م على توصية وزراء المالية و الاقتصاد الوطني بدول المجلس في اجتماعهم التاسع و الخمسين بشأن كيفية حماية الصناعات الوطنية في دول المجلس بعد قيام الاتحاد الجمركي .

و فيما يخص إعفاء مدخلات الصناعة من الرسوم الجمركية فقد قرر المجلس الأعلى في دورته الثانية و العشرين المنعقدة في مسقط ٢٠٠١م منح المنشآت الصناعية في دول المجلس إعفاء من الضرائب (الرسوم) الجمركية على و ارداتها من الآلات و المعدات و قطع الغيار و المواد الخام الأولية و نصف المصنعة و مواد التعبئة و التغليف اللازمة مباشرة للإنتاج الصناعي و تم إعداد الضوابط اللازمة لذلك ، و جاري العمل حاليا على اعتماد مشروع لتعديل هذه الضوابط ، وذلك نظراً لقيام دول المجلس بإعادة تقييم هذه الضوابط بعد انقضاء مدة ثلاث سنوات من البدء بتطبيقها .

كما اعتمد المجلس الأعلى في دورته الرابعة و العشرين المنعقدة بالكويت ٢٠٠٣م ، القانون (النظام) الموحد لمكافحة الإغراق و التدابير التعويضية و الوقائية لدول المجلس كقانون إلزامي اعتبار من الأول من عام ٢٠٠٤م .

كذلك قرر المجلس الأعلى في دورته الخامسة و العشرين المنعقدة بالمنامة ٢٠٠٤م ، اعتماد قانون (نظام) التنظيم الصناعي الموحد لدول مجلس التعاون كقانون (نظام) إلزامي .

و جاري العمل حالياً على إعداد مشروع نظام (قانون) موحد لتشجيع استثمار رأس المال الأجنبي في دول المجلس . وأيضاً إعداد مشروع إستراتيجية شاملة لتنمية الصادرات لدول المجلس .

وفي إطار اهتمامات دول المجلس بالقطاع الخاص فقد نظمت الأمانة العامة لمجلس التعاون عددا من المؤتمرات و اللقاءات بين رجال الأعمال الصناعيين من دول المجلس و نظرائهم من الدول و المجموعات الاقتصادية الأخرى ، حيث تم عقد ثلاثة مؤتمرات مع الأوروبيين في غرناطة و الدوحة و مسقط و مع الهنود في الهند وسلطنة عمان . كما تم عقد مؤتمرين مع كل من الأمريكيين في واشنطن و المنامة ، ومع اليابانيين في طوكيو و المنامة. كذلك تم عقد مؤتمر (لقاء) واحد مع الروس بالمملكة العربية السعودية ومع اليمنيين في مدينة صنعاء لاستكشاف فرص الاستثمار باليمن .

وفي مجال التعاون في مجال الكهرباء و الماء ، يتم المضي قدما في تنفيذ مشروع الربط الكهربائي حيث التزمت كل دولة مساهمة في المرحلة الأولى من مشروع الربط الكهربائي (المملكة العربية السعودية ، مملكة البحرين ، دولة قطر ، دولة الكويت) بدفع التزاماتها من باقي رأس مال هيئة الربط الكهربائي (٣٠%) و حصتها من باقي التمويل (٦٥ %) بالطريقة التي تراها مناسبة و وفق التدفقات المالية و المواعيد التي تحددها الهيئة ليتم تشغيل المشروع خلال الربع الأول من عام ٢٠٠٨م .

وفي مجال التعاون الزارعي ، أقرت دول المجلس السياسة الزراعية المشتركة عام ١٩٩٦م و تهدف هذه السياسة إلى تحقيق التكامل الزراعي بين دول المجلس وفق إستراتيجية موحدة تعتمد على الاستخدام الأمثل للموارد المائية المتاحة و توفير الأمن الغذائي من مصادر وطنية ، و زيادة الإنتاج و تشجيع المشاريع المشتركة بمساهمة من القطاع الخاص .

وفي مجال الطاقة ، أقرت دول المجلس الاستراتيجية البترولية الموحدة انطلاقاً من السمات المشتركة لدول مجلس التعاون ، و استناداً على الأسس التي قام عليها المجلس و التي اشتملت على تحقيق التنسيق و التكامل و الترابط في جميع المجالات ، كما روعي بأن تكون أهداف هذه الإستراتيجية مواكبة للأهداف الإستراتيجية لخطط التنمية المحلية في الدول الأعضاء و إستراتيجية التنمية الشاملة بعيدة المدى لدول المجلس و التي ترتكز بشكل عام على تطوير القوى العاملة و تحسين مستوى المعيشة و تنويع الاقتصاديات الوطنية و توسعة دور القطاع الخاص في الدول الأعضاء و تقليل الاعتماد على البترول كمصدر أساسي للدخل القومي فيها .

الأمن في مجلس التعاون الخليجي و دور المملكة البارز فيه

تقوم القيادة الحكيمة فى المملكة العربية السعودية بدوراً حاسماً في رسم ملامح الأمن الاستراتيجي فى الخليج في ظل متغيرات خارجية تؤثر على الأمن الوطني السعودي نفسه و تخلق مخاطر و تهديدات و تتجلى أهمية هذا الدور و الرؤيا السعودية الثاقبة انطلاقاً من أهمية المملكة ومن النظرة الكلية و الشاملة وفي حقيقة التوظيف الاستراتيجي لموقع المملكة ، ليس فحسب على مستوى الماضي بل الحاضر و المستقبل في بلد أضحى من أهم محاور السياسة على مستوى العالم بعد أن أصبحت المملكة قلب العالم الإسلامي و العالم الاقتصادي بحكم أنها المنتج الأول و المصدر الأول للسلعة الإستراتيجية الأولى في عالم اليوم .

و بجانب دور المملكة الاسلامى و الحضارى (بصفتها مهد الإسلام منذ مجيئه برسالته العالمية ليضيء الكون بضيائه ، فهي مهبط الوحي و رسالة الإسلام و تضم الحرمين الشريفين) هناك دور جيوستراتيجياً عالمياً و أهمية إستراتيجية كبرى و منطقة مركزية لاستقرار العالم ومن هنا فإن القيادة السياسية الحكيمة قد استغلت تلك المتغيرات لصالح الأمن الوطني للمملكة حتى أضحت المملكة إحدى الدول الفاعلة ليس فقط على المستوى الخليجي و العربي و الإسلامي فحسب بل على مستوى العالم حيث إن المملكة هي إحدى دول العشرين التي أضحت ترسم أجندة المستقبل لكل العالم .

و الهدف الاستراتيجي الأمني للملكة أصبح الحفاظ على الوطن الآمن وعلى الخليج العربي المستقر وعلى الدور الحضاري و الازدهار الاقتصادي غير المسبوق للمملكة .

و لذا يحتل الأمن الوطني السعودي مكانة مركزية في التفكير الاستراتيجي السياسي العسكري لعدة اعتبارات :

أولها : أن الأمن الوطني هو محور السياسة الخارجية السعودية من منطلق مفهومها لأمنها الوطني و حماية له.

ثانيها : أن منطقة الخليج و المنطقة العربية تخوض صراعاً مصيرياً ضد القوى التي تريد الهيمنة و الطامعة في ثرواتها.

ثالثها : يترتب على ذلك أن الاستراتيجيات التي حددتها المملكة في المجالات المختلفة قد انطلقت من مفهوم و نظرية سعودية للأمن انطلقت منه و تسعى إلى تحقيقه .

و تحديد الإطار العام للأمن الوطني السعودي هي الاستغلال الأمثل لقوة المملكة و عناصرها الجيوبوليتيكية و الاقتصادية و العسكرية و الروحية و السياسية ، وفي إدراكها العميق لمواطن التهدي ، وهو بحسبانها كل ما من شأنه تهديد القيم الداخلية للمملكة و كيانها بفعل أية عوامل داخلية أو خارجية ، وكانت نقطة البداية في تحقيق الوطن الآمن هو انتصار المملكة في معركتها ضد الإرهاب الأسود ، و شهد العالم بقدرة المملكة وقيادتها على التعامل مع هذه الظاهرة الخطيرة . وقد ساهمت العلاقات الاقتصادية الدولية لدول مجلس التعاون فى تدعيم مفهوم الأمن الاستراتيجى و الأمن السياسى و الاقتصادى .

وعلى الصعيد العلاقات الاقتصادية الدولية ، أجرت دول المجلس مفاوضات مع العديد من الدول و التكتلات الاقتصادية من أجل عقد اتفاقيات للتعاون التجاري و الاقتصادي مثل الاتحاد الأوروبي و الصين و اليابان و سنغافورا و الهند و باكستان و تركيا و مجموعة دول افتا (تتكون دول الافتا من أيسلندا ، النرويج ، سويسرا / إمارة ليختنشتاين) و استراليا و نيوزلندا . و تعد المفاوضات بين دول المجلس و الاتحاد الأوربي للتوصل لاتفاقية التجارة الحرة بين الطرفين من بين أهم تلك المفاوضات ، حيث تم في هذا الأطار عقد عدة اجتماعات مكثفة خلال عام ٢٠٠٧م و عام ٢٠٠٨ للمختصين من الجانبين ، أنهيا خلالها معظم المواضيع المتعلقة بهذه الاتفاقية .

مبادرة فردية :

و تدعيما لأواصر الصداقة بين دول مجلس التعاون الخليجي ، و بالإضافة إلى التزام المملكة بمقررات القمم الخليجية اتخذت المملكة مبادرة فردية تمثلت في إعلان خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز في محرم ١٤٠٤هـ أمام أساتذة و طلاب جامعة الملك عبد العزيز عن تخصيص جزء من أسهم الشركة السعودية للصناعات الأساسية (سابك) لتساهم فيها دول الخليج إذا أرادت. وقد ترجمت هذه المبادرة على الفور و تم تخصيص ٢٠ % من أسهم شركة سابك للاكتتاب خصص منها ١٠ % لمواطني دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية .

الموقف من الأخطار و التحديات المحيطة بمنطقة الخليج :

تمثلت التحديات التي واجهت منطقة الخليج في الفترة التي تلت قيام مجلس التعاون لدول الخليج العربية في قيام الحرب العراقية الإيرانية ثم بروز الخطر العراقي بعد انتهاء هذه الحرب برغبة العراق في التوسع على حساب الكويت و قيامه بغزو الكويت في الثاني من أغسطس ١٩٩٠م . وفي هذه المواقف وقفت المملكة بالمرصاد لأي خطر يهدد الخليج ، وكان موقفها على النحو التالي :

موقف المملكة من الحرب العراقية الإيرانية :

ساندت المملكة العراق انطلاقا من حرصها على الأمن العربي و حرصا على شعب العراق ، وقد عبر خادم الحرمين الشريفين عن هذا الموقف بقوله : (قامت المملكة بمساعدة العراق على إيران للحفاظ على بقاء العراق).

وقد تلخص الموقف السعودي من حرب الخليج في النقاط التالية :

-الحياد العسكري
- العمل على إنهاء الحرب سلميا من خلال مجلس التعاون لدول الخليج العربية و منظمة المؤتمر الإسلامي و منظمة الأمم المتحدة ، بالإضافة إلى التنسيق الدائم الثنائي و الجماعي لمحاولة إنهاء الحرب .

الموقف تجاه غزو العراق للكويت :

كانت خطوة العراق بغزو الكويت لا تتناسب إطلاقا مع الجهود التي تبنتها المملكة لاحتواء الخلاف الذي افتعلته العراق مع الكويت و الإمارات ، ولا تتناسب إطلاقا مع وعود صدام حسين بأنه لن يعتدي على الكويت . ولذا فإن الغزو جاء كنقطة تحول في مسار العلاقات بين أطراف الخلاف و بذلك وجدت المملكة نفسها في خضم أزمة حقيقية حيث يحتل العراق بلدا عربيا جارا له و يحشد قواته على حدود المملكة في تهديد واضح لها بما يملكه العراق من أسلحة تقليدية و غير تقليدية . وكان على المملكة أن تتخذ قرارا سريعا وحاسما حيث إن الأزمة تتطلب سرعة اتخاذ القرار لأهمية الوقت.

يمكن تلخيص الموقف السعودي من الأزمة في عدة نقاط رئيسة هي :

١ - إدانة الغزو و رفض كل ما يترتب على ذلك الغزو.
٢ - الإعلان بأن المملكة لن تسمح لأحد بأن يطأ شبرا من أرضها فضلا عن أن يحتلها و يقتطع منها .
٣ - الالتزام التام بقرارات القمة العربية غير العادية في القاهرة (١٠ أغسطس ١٩٩٠م) وبيان منظمة المؤتمر الإسلامي و قرارات مجلس الأمن .
٤ - المطالبة بالانسحاب الفوري للقوات العراقية من الكويت و عودة السلطة الشرعية المتمثلة في حكومة الكويت بقيادة الشيخ جابر الأحمد الصباح إلى الحكم و عودة الأمور إلى ما كانت عليه قبل الثاني من أغسطس .
٥ - انسحاب الحشود العراقية المرابطة على حدود المملكة مع ضمان عدم تكرار الاعتداء العراقي على أية دولة عربية خليجية أخرى.
٦ - استدعاء القوات العربية و الإسلامية و الصديقة لمساندة القوات السعودية في الدفاع عن المملكة.

يمكن ذكر دواعي و أطوار الموقف على النحو التالي :

أولا – دواعي القرار :

١ - أن الغزو ألغى وجود دولة عربية خليجية جار و تجاوز على السلطة الشرعية فيها .

٢ - أن الغزو يشكل تهديدا مباشرا للمملكة بعد حشد العراق لجيوشه على حدود المملكة حتى ولو أعلن أنه لن يغزو المملكة ، و بحكم أن المملكة دولة جارة للطرفين فإن أمنها سيتأثر بهذا الغزو. وقد رأينا أن هدف الأمن الداخلي و الخارجي للمملكة يشكل بعدا أساسيا في تصور القيادة السعودية لدورها الخارجي .

٣ - أن الغزو سيطيح باستقرار و أمن منطقة الخليج و سيخل بالتوازن الموجود فيها و يجدد الادعاءات لبعض الدول في أراضي الدول الأخرى و النتيجة انهيار الاستقرار و الأمن في المنطقة ، و بالتالي التأثير على أمن المملكة ذاته.

٤ - أن الغزو يشكل تهديدا مباشرا للثروة النفطية الخليجية بل إن غزو العراق للكويت جاء بعد افتعال العراق للأزمة حول نفط حقل الرميلة ، و بالتالي فإن الغزو سيؤثر على عنصر فاعل من عناصر نفوذ دول الخليج في السياسة الدولية.

٥ - أن الغزو ارتبط أيضا بمحاولة عراقية لتهديد أمن البحر الأحمر وقد اتضح هذا الهدف من توجهه للتنسيق مع بعض الدول لدعم موقفه.

٦ - أن الأزمة في الخليج كانت ستؤدي إلى إيجاد بؤرة للصراع الدولي في المنطقة و بالتالي يمكن أن يستمر هذا الصراع الدولي فترة طويلة. وكان هذا يمكن أن يتحقق لولا أن الغزو جاء في فترة كانت القطبية الثنائية في النظام الدولي و الصراع الأيديولوجي بين الشرق و الغرب قد تلاشت.

٧ - أن تسوية مشاكل الحدود بين الدول عن طريق الغزو سيشكل سابقة خطيرة في العالم العربي ، يمكن أن يفتح ملفات عديدة لمشاكل الحدود في العالم العربي و يرمي بالمنطقة كلها في دوامة من الصراعات المسلحة على الحدود.
٨ - أن غزو العراق للكويت يتنافى مع المبادئ الإسلامية و القانون الدولي وهي مبادئ و قوانين تؤمن بها المملكة و تتعامل على أساسها في المجال الدولي.

٩ - أن العراق يدين بالكثير من المساعدة لدول الخليج التي أمدته بها ، ولم يكن من المتصور أن يقوم العراق بغزو الكويت مكافأة لها على وقوفها بجانبه خلال أزماته.

١٠ - أن الروابط التاريخية بين الأسرة السعودية و أسرة آل الصباح في الكويت استدعت وقوف المملكة بجانب الكويت في محنته تعزيزا للشرعية و وقوفا إلى جانبها.

وهكذا نرى بوضوح أهمية إنشاء مجلس التعاون الخليجي و الدور المحوري الذي قام به على الصعيد الاقتصادي و الصعيد الأمني.

و نحن نعلم الارتباط الوثيق بين الأوضاع الأمنية و الأوضاع الاقتصادية خاصة فى منطقة هامة و محورية من العالم مثل منطقة الخليج ، كما يتضح الدور البارز للملكة العربية السعودية فى الاستقرار السياسي و الاقتصادي و الأمني فى المنطقة بأسرها .

أهمية منطقة الخليج العربي .
الاختلاف الواضح بين تضاريس الساحل الغربي و الشرقي للخليج العربي .
تسمية الخليج العربى .
التنافس الاستعماري في منطقة الخليج .

البرتغال :
-الكشوف الجغرافية
-الاحتكار العربى و الاسلامي للتجارة العالمية
-الأحقاد الصليبية
-استيلاء البرتغالين على الموانى الخليجية بالتدريج و دور البوكيرك
-تحالف ايران مع البرتغاليين ضد العرب
-انهيار التجارة العربية
-خروج البرتغاليين على يد الانجليز و الهولنديين

هولندا :
-التواجد و التفكير الهولندي في آسيا خصوصاً و الشرق عموماً في أواخر القرن السادس عشر.
-انشاء شركة الهند الشرقية الهولندية.
-دخول الهولنديون عن طريق ثغرة أرخبيل الملايو.
-حملاتهم و انتصاراتهم على البرتغاليين.
-التنافس الانجليزي الهولندي
-سياسة شركة الهند الهولندية و فشلها و نهاية الوجود الهولندى .

فرنسا :
-بدأ اهتمام الفرنسيين بالتجارة مع الشرق منذ بداية القرن ١٦م .
-وكانت فرنسا في محاولاتها الاتصال بمنطقة الخليج العربي حريصة على إبراز دورها في مجال حماية الكاثوليك في أسيا.
-إقامة علاقات تجارية مع إيران للنفوذ الى منطقة الخليج.
-نفوذ فرنسا الى الخليج من خلال النشاط الدينى.
-ارتباط فرنسا بالصراع مع انجلترا. علاقة فرنسا بعمان
-انتهاء الوجود الفرنسى بعد حرب السنوات السبع.

انجلترا :
-الثورة الصناعية و ضعف الدولة العثمانية و سياسة بريطانيا.
-تأسيس شركة الهند الشرقية البريطانية.
-الاستفادة من التنافس البرتغالى الهولندى.
-ازدياد النفوذ البريطانى تدريجيا و السيطرة على الخليج .
-استطاعت الشركة القضاء على المنافسة الأخرى لها ، سواء الهولندية أو الفرنسية . وهكذا أصبح الميزان التجاري في منطقة الخليج العربي لصالح شركة الهند الشرقية الإنجليزية .
-المنافسة الألمانية و الروسية و الفرنسية .

كان الصراع صراعاً دولياً لتحدي الوجود البريطاني المهيمن على الخليج ، وهو ما دفع روسيا لتنفيذ محاولتها للوصول إلى الخليج ، و رغبتها في إنشاء ميناء و قاعدة حربية في الخليج ، فاختارت روسيا فارس بحكم الجوار الجغرافي و الحدود الطويلة المشتركة بينهما ، لتكون قاعدة انطلاق نحو طموحها للبحار المفتوحة و المياه الدافئة ، فأصبحت فارس محوراً أساسياً للوصول إلى الخليج العربي . و سعت روسيا أيضاً لإنشاء خط ملاحي روسي لربط موانئ روسيا بالخليج لتقوية التبادل التجاري بين المنطقتين ، بالإضافة إلى الطب الذي استخدمته روسيا ذريعة للتدخل في شؤون فارس و الخليج

وقد أسفر الصراع الروسي الإنجليزي للسيطرة على المنطقة عن فشل محاولات روسيا في تحقيق أهدافها في مختلف مناطق الخليج بما فيها المحمرة ، وعن اقتسام النفوذ في فارس : شمال فارس لروسيا و جنوبها لبريطانيا .

و بسيطرة بريطانيا على الخليج ضمنت لنفسها امتلاك الطريق التجاري الكبير المتمثل في الخليج ، وفي منطقة ما بين النهرين . و جاءت خسارة فرنسا لأسطولها البحري في الإسكندرية عام ١٧٩٩ كبداية لنهاية المنافسة بينهما لصالح بريطانية و سيطرتها الاستعمارية على جميع الطرق البحرية في بحر العرب

القوى العربية في مواجهة الأطماع الاستعمارية :

-اليعاربة فى عمان و كفاحهم ضد الاستعمار البرتغالي
-و بسبب موقع عمان على مدخل الخليج العربي فكانوا هم أول من تلقى صدمة الاستعمار البرتغالي الشرسة.

-و بعد أن سقطت معظم المدن العمانية الساحلية في أيدي البرتغاليين في بداية القرن السادس عشر ، بدأ العمانيون في تنظيم جهودهم لإخراج البرتغاليين وقد بذلوا في ذلك جهودا كبيرة . وقد حاول العمانيون تحقيق هذا الهدف بمفردهم تارة و بمساعدة الأتراك تارة أخرى ولكن دون جدوى بسبب التفوق الكاسح للبرتغاليين في ذلك الوقت طوال القرن السادس عشر.

-وكانت عودة الإمامة لليعاربة نقطة هامة في تاريخ عمان حيث أصبحت في زمنهم أقوى دولة في المحيط الهندي و الخليج العربي و لها أملاك في سواحل الهند و الجزيرة العربية و شرق أفريقيا و سواحل إيران .

-نشر اليعاربة الأمن في سواحل المنطقة و كانت أساطيلهم مصدر الرعب للقراصنة . أما الجانب السلبي فقد تمثل في الأتراك و الإيرانيين الذين كانوا يحاولون إضعاف أي قوة عربية و كان اليعاربة هم من وقع على عاتقهم الصمود أمام القوى الطامعة الخارجية و تعتبر دولة اليعاربة و العهود الأولى من دولة البوسعيد من أزهى عصور عمان .

البوسعيد :

-البوسعيد و الفرس ، استطاع احمد بن سعيد من محاصرة الفرس في مسقط و استطاع في النهاية طرد الفرس من مسقط و أصبح بعدها المخلص الوحيد للبلاد من شر الفرس الذين تم طردهم نهائيا في ١٧٤٤م .
-وقد اتسمت العلاقات الفارسية بالدولة البوسعيدية بالتنافس من أجل الحصول على السيادة البحرية.
-لقد حقق الإسطول العماني الحماية الكاملة لمنطقة شط العرب وأمن المساعدات القادمة من عمان وفي أوائل عام ١٧٧٦م إنسحب الإسطول العماني عائداً إلى بلاده خوفاً من أن تكون فارس تعد العدة للهجوم على عمان .
- علاقة البوسعيد مع القوى الأوروبية ، فطن الإمام احمد بن سعيد إلى التطلعات الاستعمارية الأوروبية و رسم سياسة خارجية لعمان ارتكزت على مبدأ الحياد و تميزت العلاقة الفرنسية البريطانية بالاستقرار.
-وكانت طبيعة العلاقة بين فرنسا و عمان طبيعة تجارية ، وقد أدرك الإمام احمد بن سعيد أهمية الصداقة الفرنسية.
-و رغم المعاهدات التى أبرمها العمانيون مع القوى الاستعمارية المختلفة الا أن أبرز هذه المعاهدات و أكثرها فاعلية هى المعاهدات مع فرنسا التى كانت تعكس سياسة عمان فى الحفاظ على علاقات طيبة مع فرنسا لاضعاف و مواجهة النفوذ البريطانى .ولكن بعد هزائم فرنسا أمام انجلترا فقد انفردت بريطانيا فى الميدان دون منازع فكان السعى للتقرب العمانى مع انجلترا من أجل حاجة البوسعيد الى قوة كبيرة تسانده فى مشاكله الداخلية و تحقيق طموحاته فى السيطرة على الخليج العربى و البحرين .

دور القوى المحلية في الخليج العربي في مقاومة الاستعمار :

القواسم :

-شكل القواسم إحدى أهم القوى البحرية في الخليج العربي خلال تلك الفترة و بدايات القرن التاسع عشر. وهى الفترة التي شهدت ازدياد الهيمنة البريطانية في الشرق بصفة عامة على باقي منافسيهم من القوى الأوروبية .
-و امتد نشاط القواسم البحري إلى بحر العرب و البحر الأحمر و سواحل الهند الغربية .
-وقد اصطدم القواسم بالبوسعيد في نهاية النصف الأول من القرن الثامن عشر .

-وقف القواسم في صف بلعرب بن حمير ضد أحمد بن سعيد
-ورغم الخلاف و أحيانا الصراع بين القواسم و البوسعيد إلا أنهما قد تعاونا معا لمقاومة الأطماع الاستعمارية في المنطقة .
-تعاون القواسم مع العمانيين لمقاومة الأطماع الفارسية
-سعى القواسم إلى تحرير الساحل الشرقي و الجزر القريبة منه من الاحتلال الفارسي .
-و بسبب نشاط القواسم في الخليج العربي و سيطرتهم على بعض المراكز الهامة فيه بدا الانجليز في الانتباه إلى هذا الخطر المحلى الذي يهدد مصالحهم الاستعمارية في المنطقة .

-وقد أشارت التقارير البريطانية إلى خطر اسطول القواسم
-ومنذ ذلك الوقت و بريطانيا تنتظر الفرصة المناسبة للقضاء على هذا الخطر الجديد.
-الحملة البريطانية الاولى .
-و كانت بريطانيا فى طلبها الدعم من البوسعيد تؤكد على أن هذه الحملة هدفها مساعدتهم ضد القواسم.
-كانت بريطانيا تهدف أيضا إلى عزل القواسم عن الوهابيين لكي يسهل ضربهم من ناحية و عدم إيصال العلاقات الانجليزية الوهابية لمرحلة العداء الصريح لما يمثله ذلك من خطر على المصالح البريطانية في المنطقة.

المقاومة العنيدة من القواسم :

-فشلت الحملة البريطانية في تحقيق أهدافها ، و كل ما حققته هو إيقاع الدمار ببعض الموانئ القاسمية و حرق بعض السفن.
-فأقتصر انجاز هذه الحملة على مجرد إعاقة نشاط القواسم مدة قصيرة فحسب.
-ولم يجد البريطانيين سوى الإعداد لحملة عسكرية كبرى لتحطيم هذا الخطر وهذه القوى الكبرى .
-و رغم الاستبسال من القواسم إلا أن التفوق هذه المرة كان واضحا و حاسما من قبل الانجليز .

-وأجبر القواسم على قبول المعاهدة التي عرفت بالمعاهدة العامة في يناير ١٨٢٠م و بمقتضى هذه المعاهدة استطاعت بريطانيا أن ترسخ هيمنتها على المنطقة.

أل سعود :

-اهتمام أل سعود بساحل الخليج العربي يرتبط بجهود الشيخ محمد بن عبد الوهاب قائد دعوة الإصلاح التي استقطبت الكثير من القبائل إلى جانب أل سعود.
-وقد حظيت المنطقة الشرقية باهتمام أل سعود لثروتها الزراعية إضافة إلى أهميتها الإستراتيجية .

وقد أثار توسع أل سعود ، خاصة في المنطقة الشرقية ، القوى الخارجية التي لها مصالح في الخليج . و أبرز تلك القوى شركة الهند الشرقية البريطانية و الدولة الفارسية.

وقد شجعت نجاحات أل سعود السابقة و دفعتهم إلى التطلع إلى جبهات الخليج العربي فتمكنوا من الاستيلاء على قطر و العديد من المدن .

كما أحدثت انتصارات الدولة السعودية ردود فعل متباينة من قبل القوى الاستعمارية.

و الحقيقة أن أن بريطانيا كانت مدركة لقوة آل سعود في المنطقة ، وفى نفس الوقت لم تكن ترغب في تنامي هذه القوة.

الدولة السعودية الثانية :

-بذل الإمام فيصل بن تركي جهودا كبيرة للاتفاق مع العديد من حكام إمارات الخليج متخذا سياسة الحلول السلمية تارة و العسكرية تارة أخرى .

-فقد كانت سياسة بريطانيا تعارض بشدة أى دولة قوية تحاول مد نفوذها في الخليج و ساحل عمان ، وقد حدث ذلك مع الدولة السعودية نفسها حيث كانت تقف بريطانيا ضدها و عملت على الحيلولة دون استيلاء الإمام فيصل على مسقط و صحار و وقفت بجانب حاكم البحرين

وقد استمرت سياسة الدولة السعودية في محاولة تحقيق التضامن مع القبائل العربية رغم عدم رضا بريطانيا عن هذه السياسة.

و برز التفوق السعودي بمد سيطرته على مسقط وشيخ البحرين و البونعيم و القواسم .

الدولة السعودية الثالثة :

بذل الملك عبد العزيز آل سعود جهودا كبيرة في توحيد الجزيرة العربية و نقل مجتمعاتها البدوية و القبلية إلى نظام يتسم بالاستقرار و القوة تحت راية مركزية وطنية قوية على أجزاء الجزيرة و سواحل الخليج العربي .

و الواقع أن سياسة عبدا لعزيز آل سعود كانت ترمى إلى إقامة علاقات ود و تفاهم مع البريطانيين من جانب و السعي لطرد العثمانيين من الإحساء و القسيم من جانب أخر .

وقد امتدت سيطرة آل عبد العزيز آل سعود على جميع مناطق الربع الخالي حتى جنوب الرياض ، ومن الشرق امتدت حدوده إلى الإحساء.

و تجدر الإشارة هنا إلى أن سياسة بريطانيا تجاه الأمير عبد العزيز آل سعود طوال فترة الحرب العالمية الأولى كانت تسير نحو تحقيق مصالحها بالدرجة الأولى في الخليج العربي .

أدرك الأمير عبد العزيز أن السياسة البريطانية تهدف إلى تقسيم الجزيرة العربية فسارع إلى تشديد حصاره على حائل ليفوت الفرصة على بريطانيا.

وهكذا نجد أن القوى العربية في منطقة الخليج العربي كان لها دور كبير في مقاومة القوى الاستعمارية العاتية في المنطقة ، كما تنوع أسلوب المقاومة من قوى عربية لأخرى ما بين الأسلوب السياسي و الديني و العسكري .

الحياة الاقتصادية في الخليج العربي :

عصر اللؤلؤ :

اقتصاد الخليج العربي فقد اعتمد أساساً على البحر في صيد اللؤلؤ و الأسماك و التجارة ، بالإضافة إلى أنشطة اقتصادية أخرى مثل الرعي و الزراعة المحدودة في الواحات و التجارة البرية و الصناعات الحرفية التقليدية مثل صناعة السفن و الجلود و الخيام .

و مارس سكان المنطقة عدة أنشطة بحرية ، أهمها :

١ - بناء السفن **٢ -** صيد اللؤلؤ **٣ -** صيد الأسماك **٤ -** النقل البحري و النشاط التجاري .

عُرفت تجارة اللؤلؤ منذ القدم في الخليج العربي ، و كانت من أول النشاطات الاقتصادية التي كانت مبنية أثناء الثورة التجارية الأولى على أسس شبه رأسمالية .

و تؤكد المصادر التاريخية و الجغرافية التي اهتمت بأمور الملاحة في الخليج بما أن حوض الخليج العربي يعتبر أنسب بيئة لتكون و نمو أصداف اللؤلؤ عن بقيـة البحار و الخلجان في الجزء المائي من الكرة الأرضية .

و يمتد شط اللؤلؤ فى الخليج العربى من الشارقة إلى البحرين مروراً بجزيرة حالول ، وهو عبارة عن رصيف مرتفع في قاع الخليج يكون فيه شط اللؤلؤ الكبير أمام سواحل قطر و البحرين و أبو ظبي .

مراكز تجارة اللؤلؤ في الخليج العربي :

البحرين - جزيرة دلما - الكويت.

وقد شكل اللؤلؤ أهمية خاصة في صادرات الخليج العربي ، و احتل مركزاً مرموقاً بين الصادرات الأخرى . وقد بلغت قيمة صادرات اللؤلؤ نحو ٧٥ % من جملة الصادرات في عام ١٩٠٦م .

مجلس التعاون الخليجي :

ظهرت الحاجة إلى قيام اتحاد تكاملي بين دول الخليج يهدف إلى توحيد القرار في السياسة الخارجية و التعاون الاقتصادي و الدفاعي بين دوله

كان للملكة العربية السعودية دور بارز فى هذا الاتجاه حيث ابرزت حكومة المملكة العربية السعودية استعدادها لزيادة التعاون الاقتصادي و الفني مع دول الاتحاد بهدف إسعاد شعوبها و رفاهيتها .

و خلال الفترة التالية تبلورت عدة ظروف دولية و إقليمية دعمت فكرة قيام إطار للتعاون بين دول الخليج مجتمعة الصراع بين روسيا و امريكا - الحرب العراقية الإيرانية .

وقد نشطت المملكة العربية السعودية في الدعوة إلى قيام تعاون أمني للدول الخليجية.

إنشاء المجلس (٢٥ مايو ١٩٨١م توصل قادة كل من المملكة العربية السعودية و مملكة البحرين و الإمارات العربية المتحدة وسلطنة عمان و دولة قطر و دولة الكويت في اجتماع عقد في أبوظبي إلى صيغة تعاونية تضم الدول الست تهدف إلى تحقيق التنسيق و التكامل و الترابط بين دولهم في جميع الميادين وصولاً إلى وحدتها).

النظام الأساسي :

الهيكل التنظيمي (المجلس الأعلى - المجلس الوزاري) الأمانة العامة

حتمية التكامل الاقتصادي

مبادئ سياسة المجلس الخارجية

أهم الإنجازات في المجالات الاقتصادية :

توحيد التعريفة الجمركية - وضع أنظمة متماثلة في مختلف الميادين بما في ذلك الشئون الاقتصادية و المالية و الشئون التجارية و الجمارك و المواصلات و الاتصالات و الطاقة و دفع عملية التقدم العلمي و التقني في مجالات الصناعة و التعدين و الثروات المائية - تجسيد المواطنة الخليجية في كافة الأنشطة التجارية و العقارية و الصناعية و الاستثمارية و العمل - قيام السوق الخليجية المشتركة.

الأمن في الخليج
دور المملكة و المبادرات الفردية
الموقف من الأخطار و التحديات المحيطة بمنطقة الخليج
موقف المملكة من الحرب العراقية ألإيرانية
الموقف تجاه غزو العراق للكويت

دعواتكم : IbtiHAlinO